البعث
الأسبوعية
مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن دار البعث للصحافة والطباعة والنشر ٣٢ صفحة
الأربعاء ١٣ تشرين الأول ٢٠٢١ العدد ٤٦

من يستهدف الصناعة السورية.. ولماذا؟



مجلس الوزراء يوافق على استكمال إجراءات التعاقد لإنشاء محطة توليد كهرضوئية باستطاعة ٣٠٠ ميغا واط في ريف دمشق



البعث الأسبوعية - مقر رئاسة الحكومة

وافق مجلس الوزراء على استكمال إجراءات التعاقد لإنشاء محطة توليد كهرضوئية باستطاعة ٣٠٠ ميغا واط في منطقة وديان الربيع بمحافظة ريف دمشق.

وطلب مجلس الوزراء خلال جلسته الأسبوعية برئاسة المهندس حسين عرنوس، من وزارة التنمية الإدارية متابعة ملف تعيين المسرحين، كما طلب من وزارة المالية وهيئة التخطيط والتعاون الدولي تأمين الاعتمادات اللازمة لاستكمال تعيين جميع المسرحين من خدمة العلم المقبولين نتيجة المسابقة والاختبار، وتأمين مباشرتهم العمل بأسرع وقت، وتم التأكيد على وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك لاستكمال أتمتة توزيع الخبز لتشمل جميع المحافظات ومعالجة أي خلل في التوزيع.

وفق الأولوية

وأكد المهندس عرنوس ضرورة وضع المشروعات وفق الأولوية والأهمية ضمن خطط وزارات واستراتيجيات عملها، والتنسيق مع مختلف الاتحادات والنقابات والتشاور معها عند اتخاذ القرارات، وتفعيل التعاون مع الدول الصديقة، ومتابعة تنفيذ الاتفاقيات والمشروعات المشتركة، وتكثيف الجولات الميدانية على مواقع العمل، ووضع مؤشرات لقياس مخرجات الجهات العامة، وتقييم أداء القائمين عليها بما يحقق أفضل النتائج، مشيراً إلى أهمية المتابعة المستمرة لتنفيذ الخطة الزراعية وخاصة موسم القمح، واستغلال جميع المساحات الملائمة لزراعته وضبط آلية إيصال البذار والمحروقات المدعومة للمزارعين.

استعراض

واستعرض المجلس مذكرة حول مستجدات تنفيذ قرار إحداث وتشغيل أسواق الهال في المحافظات، والدور الذي تمارسه وزارة التجارة الداخلية بالتدخل الإيجابي في ضبط واستقرار الأسعار، وبما يضمن إيصال المواد الغذائية والاستهلاكية المنتجة محلياً مباشرة من المنتج إلى المستهلك، وبما يضمن أن تنعكس نتائج تنظيم وإدارة سوق الهال على المستهلك بشكل مباشر من خلال عدالة الأسعار وجودة المنتجات.

ووافق المجلس على تنفيذ أعمال إكساء ١٠ عمارات برجية في مشروع الادخار السكني في محافظة اللاذقية، واعتمد في سياق آخر وثيقة معايير اختيار المديرين المركزيين في الإدارات المركزية للوزارات.

كما استعرض مجلس الوزراء مذكرة تتضمن إعادة تقييم المشاريع الاستثمارية التي يتم تنفيذها وفقاً للأولويات والاستمرار بتنفيذ المشاريع التي وصلت إلى نسب إنجاز متقدمة.

نشاطات حكومية

تابعت وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية موجة الانتقادات والجدل الحاصل عقب صدور قرارها رقم /٧٩٠/ تاريخ ٢٠٢١/١٠/٤ بخصوص استمرار السماح باستيراد مادة الأقمشة المصنّرة المنتجة محلياً بالنسبة للصناعيين.

وأشارت الوزارة في بيان لها بهذا الخصوص أنها سعت خلال الأيام الماضية للحصول على آراء أوسع شريحة ممكنة من المعنيين بالقرار أعلاه، أو من المهتمّين بما يصدر من قرارات تستهدف قطاع الأعمال.

وأشار بيان الوزارة إلى أنها أنّها تراعي كافة الآراء المنطقية، وتتقبل الانتقادات طالما أنّها موضوعية، إلا أنها في الوقت ذاته مؤسسة حكومية معنية باتخاذ القرارات التي تنسجم مع مصالح كافة قطاعات الصناعة المحلية، وليس مع مصالح البعض ممن يسعون للتأثير على الرأي العام واستعطاف المواطنين، سواء من خلال ضخ معلومات مغلوطة، أو من خلال التصريح علناً أو إيحاءً بأنّ القرارات الصادرة خاطئة.

وفي ذات السياق فإنّ الوزارة توضّح بأنّ قرارها رقم /٧٩٠/ يمكن تقسيمه إلى ثلاثة محاور، حيث أنّ المحور الأول يتعلق بالسماح باستيراد الأقمشة المصنّرة غير المنتجة محلياً لكافة المستوردين، سواء أكان هذا المستورد صناعي أم تاجر، علماً بأنّ هذا الأمر تمّ الاتفاق عليه من قبل كافة الجهات المعنية، وذلك في ضوء عدم وجود منتج محلي منه على الإطلاق.

أمّا المحور الثاني فيتعلق بإمكانية أن يصبح لدينا صناعة محلية من النوع غير المتوافر حالياً والذي نضطر إلى استيراده، وهنا فإنّ الوزارة بيّنت بأنها ستقوم بإضافة الأنواع الجديدة إلى قائمة المنتجات المحلية والتي تخضع لإجراءات حمائية بحسب الكميّات المنتجة ومدى تلبيتها للاحتياجات المطلوبة.

فيما المحور الثالث، يتعلق باستمرار العمل بقرار السماح باستيراد مادة الأقمشة المصنّرة بالنسبة للصناعيين وفقاً لمخصصاتهم المعتمدة من قبل مديريات الصناعة، وذلك بالنسبة للأنواع غير المنتجة محلياً، أو الأنواع التي يتواجد منها إنتاج محلي إلاّ أنّه غير كاف.

وهنا تؤكّد الوزارة بأنّ القرار كان موجوداً أصلاً ومعمول به، وما جرى في حقيقة الأمر هو استمرار العمل بالقرار، نظراً لعدم كفاية الإنتاج المحلي.

وفي إطار ما ورد ذكره أعلاه، تنوّه وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية إلى أنّ جميع القرارات التي تصدر عنها تتم بعد مناقشة كافة التفاصيل مع الجهات المعنية من القطاعين العام والخاص، والقرار رقم /٧٩٠/ تمّ الاتفاق على مضمونه في اللجنة الاقتصادية وبحضور رئيس اتحاد غرف الصناعة السورية، وكانت الغاية منه دعم تعافي صناعة الألبسة سواء المعدّة للاستهلاك في السوق المحلية، أو تلك المعدّة للتصدير، ولم يكن أبداً على حساب صناعة الأقمشة، حيث تحرص الوزارة على تعافي جميع سلاسل الإنتاج في قطاع الصناعات النسيجية، نظراً لكون تضرر أي حلقة سيلحق الضرر بالحلقات الأخرى، وبالنسبة لحلقة الألبسة فإنّ الضرر سيؤثر على معيشة عشرات آلاف العاملين في هذا القطاع بمختلف مستوياتهم.

وتستغرب الوزارة أن يتم الترويج لضرر كبير سيلحق بالأقمشة المنتجة محلياً نتيجة منافسة الأقمشة المستوردة، لاسيما وأنّ ما يحدث على أرض الواقع هو العكس، حيث تمت حماية هذا القطاع بدرجة كبيرة من خلال السماح باستيراد العديد من الأصناف اللازمة لإنتاج الأقمشة كالغزول والخيوط، وتمّ منع استيراد أقمشة الستائر والمفروشات، و رفع السعر التأشيري للأقمشة القطنية المصنّرة إلى /٦/ دولار للكيلو بدلاً من /٣/ دولار، وهو أعلى من السعر العالمي، وحصر استيراد الأقمشة المصنّرة بالصناعيين.

يضاف إلى ذلك كله بأنّ أسعار الأقمشة المستوردة هي أعلى من أسعار الأقمشة المنتجة محلياً، بالنظر إلى اختلاف التكاليف، فإضافة إلى ما تمّ ذكره بخصوص رفع السعر الاسترشادي إلى /٦/ دولار، يخضع المستورد لرسوم جمركية وإضافات عليها بحدود ٢٠ إلى ٢٢٪، كما أنّ تكاليف النقل عالمياً ازدادت بنسبة كبيرة، وقد انعكست هذه التكاليف زيادة في أسعار المادة المستوردة.

وأكدت الوزارة في ختام بيانها أنها ما زالت مستمرة بدعمها للصناعة الوطنية، وبالتالي مستمرة بإجراءاتها وقراراتها الرامية لحمايتها ومنها صناعة الأقمشة، وتعرب عن شكرها العميق لكل صناعي أو تاجر أبدى الموضوعية في التعاطي مع القرار، وآثر المصلحة الوطنية على مصلحته الشخصية.

كلمة العدد

ما الجديد في: الوطن والمواطنة ؟

د. عبد اللطيف عمران

من الآخر: الجديد يتمثّل في استغلال ظاهرة الاستيطان للوضع الإقليمي والدولي الذي دفع بالأمس رئيس وزراء كيان الاحتلال الصهيوني بإعلان زيادة عدد المستوطنين في الجولان السوري المحتل.

لعلّ الوطن العربي في أقطاره جميعاً هو في عالم اليوم الأكثر معاناة ومواجهة للتحدّيات الطارئة التي تعصف بالمفاهيم التي كانت مستقرّة سابقاً في أذهان الجيل السابق لتعريف الوطن والمواطنة، خاصّةً مع بروز توجّهات واضحة لتغييب كلمتي الوطن والقطر، وحصرهما بالإحالة فقط إلى المعجم القومي الكهل، فبدأت تستقرّ عبارة: العالم العربي. فهناك اليوم تغيّرات واضحة في طبيعة (العالم المعاصر) تختلف تماماً عن (العالم الحديث) أثّرت في المفهوم الجغرافي للوطن، والقانوني للمواطنة، والعاطفي للوطنيّة، ومن أبرز أسباب هذه التغيّرات المعاصرة:

- أطماع القطب الواحد غير المشروعة والمقترنة بنزوع الهيمنة والتفرّد والجنوح نحو الاستبداد /من ليس معنا فهو ضدّنا/ وما أفرز ذلك من تقدّم وتطوّر البنى الاجتماعيّة الحاضنة للفكر الليبرالي، وتجاوز هذا النزوع للحدود الوطنيّة، والقيميّة، مع استغلال لئيم لظاهرة العولمة.
- الأثر الكبير لما وفّرته ثورة الاتصالات والتواصل والتكنولوجيا الرقميّة على مفهومي الوطن والمواطنة اللذين شهدا تغيّراً واضحاً وتحدّيات جديدة ومتسارعة ركّزت على استقطاب طارىء ومغاير لجيل الشباب، ما شجّع شرائح واسعةً للهروب من المجتمع والتمرّد على الدولة جرّاء طغيان مفهوم المواطنة على حساب الوطنيّة (الوطن) وبسبب أثر التغيّرات الدولية على هذين المفهومين، فكان لعولمة الاقتصاد والسياسة والاتصالات أثرٌ خطيرٌ في تآكل مفهوم الوطن والمواطنة.
- الأثر الخطير لموجة التطرّف والتكفير والإرهاب في تشتيت مفهومي الوطن والمواطنة، وفي التشكيك فيهما، وما نجم عنه من وجود جماعات بل عصابات مستقرّة ووافدة لا تعترف بالدولة الوطنيّة ولا بحدودها، لا بالوطن ولا بالمواطنة، ولا بالوطنيّة، فكانت بنزوعها نحو /التكفير والهجرة/ قريبة بل متبادلة الدعم لمشروع الاستيطان الصهيوني، فتشابها بتدفّق قطعان المستوطنين من أربع جهات الأرض لتجاوز الحدود الوطنيّة، وصار الجهاديون جوّالين عابرين للحدود تدعمهم صواريخ القطب الواحد العابرة هي أيضاً. وهذا ما أسماه الغزو الإعلامي والثقافي البغيض: الربيع العربي؟!.

في هذا السياق، لا بد من التأكيد على أنّنا بحاجة ماسّة إلى إعادة النظر في مناهج تدريس التربيّة الوطنيّة في المدارس، والثقافة القوميّة في المعاهد والجامعات، من خلال التركيز على الطارىء الجديد في عالم اليوم على مفهومي الوطن والمواطنة باعتبارهما صارا مصطلحين غير مستقرّين.

فلم يعد الوطن فقط هو الأرض التي ينشأ عليها المواطن ويتوارثها كواقع جغرافي مادي محدّد، وتاريخي أيضاً غير ثابت عبر العصور. بل هو إضافة إلى ذلك، العادات والتقاليد، والهوية والالتزام والانتماء والولاء. وهو ليس المواطنة فقط بل الوطنيّة بالدرجة الأولى.

وكذلك الأمر في مصطلح المواطنة وتطوّر مفهومها، وتعدد قوانينها وتباينها بين دولة وأخرى، والاختلاف أو التشابه بين المواطنة والوطنيّة، فالمواطنة حقوق وواجبات، والوطنيّة ولاء وانتماء تُفرض معها الواجبات على المواطن حين يُهاجر إلى بلاد أخرى غير وطنه الأصلي، ومن هنا نَجمَ التفريق أو التطابق في دول الغرب بين الجنسيّة والمواطنة ولا سيما من جهة (حق الحماية).

لذلك ستعاني في وطننا العربي مفاهيم الوطن والمواطنة والوطنيّة من تداخل وتشابك واشتباك أيضاً، ما سيفرض تبعات كبرى على برامج الإسلام السياسي الذي يجتهد اليوم كثيراً للخروج من مآزقه المتكرّرة في هذا الميدان، وليس بعيداً كثيراً عن هذه المعاناة نظريةً وممارسة الفكر - المشروع - القومي العربي.

في هذه المعمعة يستغلّ الاستيطان كل الإشكالات ولا سيما: موجة التطرّف والتكفير - الهجرة واللجوء - التطبيع، فيتناسى ومعه كثيرون ولا سيما من الأشقّاء للأسف مثلاً قرارات الشرعية الدولية والقانون الدولي، وقرار مجلس الأمن ٤٤٦ لعام ١٩٧٩ الذي اعتبر الأحياء الصهيونية في القدس الشرقية، والمجتمعات المحليّة الصهيونية في مرتفعات الجولان غير قانونية ولا يعترف بضمّها.

بتعزيز التربية الوطنيّة والثقافة القوميّة و(تحديثهما بالضرورة)، وكذلك مفهوم الوطن والمواطنة والوطنيّة نهزم أشكال الاحتلال والاستيطان كافةً.

هل هناك أمّة جزائرية قبل الاستعمار الفرنسي؟ ماكـرون «الأبيـض» المقيـت!!

«البعث الأسبوعية»
ـ أحمد حسن

لم يجد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون سوى الاستثمار في الجزائر وتاريخها وآلام شعبها لاستعادة بعض من رصيديه السياسي والانتخابي اللذين عصفت بهما «صفقة الغواصات» الأسترالية الشهيرة بتبعاتها الاقتصادية القاتلة والسياسية الفاضحة لحقيقة محدودية قدرته، وبلاده، على المستوى الجيواستراتيجي العالمي، فالرجل الذي أعاد «مذعناً» سفيريه إلى واشنطن وكانبيرا بعد «عرض للقوة» عقب استبعاده من تحالف أوكوس، تساءل مؤخراً في استعلاء استعماري مقيت عن وجود أمّة جزائرية قبل الاستعمار الفرنسي!!

والحال إن هذا السؤال كان ليبدو منطقياً لو أنه صدر من مؤرخ أو باحث سوسيولوجي يبحث في الأمم وأنماط تشكّلها ووجودها ودور القوى الخارجية المستعمرة في توحيدها أو تفتيتها، ولكان مفهوماً حينها في سياق البحث عن حقيقة تاريخية ما، لكّنه، وبنبرة السخرية والاستعلاء المرافقين له، وبطبيعة السياق الذي صدر فيه، لم يكن إلا دليلاً بيّناً على خلفية الرجل العنصرية من جهة أولى، ومحاولة مقصودة، من جهة ثانية، للترويج لنسخة تبريرية جديدة لقصة استعمار الرجل الأبيض الذي تنكّب المصاعب كي يحضّر، وينوّر إنسان الجنوب المتخلف والبربري ويقيم له دولة ويجمعه مع أقرانه في أمة مكتملة الأركان، كما أنه، أي التصريح، يكاد يفصح، من جهة ثالثة، عن رغبة مجرمة في استعادة الزمن الاستعماري، ولو بأشكال مختلفة، يبدو استعمار الذاكرة صورته الحديثة في عالم حقوق الإنسان المزعوم هذا.

بيد أن التاريخ القديم والبعيد لا يساعدان، في وقائعهما الدالّة والمثبتة، ماكرون وأضرابه في سعيهما المحموم لتبرئة هذا «الأبيض» الكبير، والصالح، من جرائمه التي اقترفها أساساً بهدف سرقة الثروات ونهب الموارد الأولية التي بنى عليها لاحقاً نهضته الاقتصادية واستلزم استمرارها ونموّها إبقاء الجنوب مصدراً مباحاً للثروات وسوقاً مفتوحة لتصريف السلع ومخبراً جاهزاً للتجارب النووية والبيولوجية لا أكثر ولا أقل.

مجازر ونووي .. وجماجم «للفرجة»!!

عام ٢٠١٦، كشفت وسائل إعلام فرنسية عن وجود ١٨ ألف جمجمة تعود لجزائريين قُطعت رؤوسهم محفوظة في «متحف الإنسان» في باريس. نعم!! «جماجم» بشر معاصرين، أي ليسوا من بقايا إنسان الكهوف، وفي عاصمة الأنوار، ٥٠٠ منها فقط تم التعرف على هويات أصحابها، وأعيد ٢٤ منها فقط للجزائر.

قبل ذلك بكثير، وفي ١٣ شباط عام ١٩٦٠، لم تجد فرنسا سوى الأرض الجزائرية والشعب الجزائري، في سياق سعيها لدخول النادي النووي، لتجري وتختبر عليهما أول تجربة نووية لها «بقوة ٧٠ كيلو طناً»، أو ما يعادل من ثلاثة إلى أربعة أضعاف قنبلة هيروشيما الشهيرة؛ وما بين عامي ١٩٦٠ و١٩٦٦، وبحسب مسؤولين فرنسيين، أجرت سلطات باريس الاستعمارية سلسلة تجارب نووية في الصحراء الجزائرية (٤ فوق الأرض و١٣ تحتها) كان لها تداعيات إشعاعية كارثية لا زالت مستمرة حتى اللحظة، نتيجة رفض السلطات الفرنسية تقديم خرائط أماكن التفجيرات للسلطات الجزائرية للبدء بمعالجة آثارها.

أكثر من ذلك، تؤكد تقديرات دولية محايدة مقتل ما يقارب من ٩ مليون جزائري، منذ ١٨٣٠ إلى غاية ١٩٦٢، وهي مدة الاستعمار الفرنسي، سقط منهم، بحسب الأرشيف الأمريكي، نحو ٧٠ ألف شخص في أسبوع واحد بدأ يوم ٨ أيار ١٩٤٥ في مناطق سطيف وقالمة وخراطة خرجوا حينها في مظاهرات سلمية للمطالبة باستقلال بلادهم.

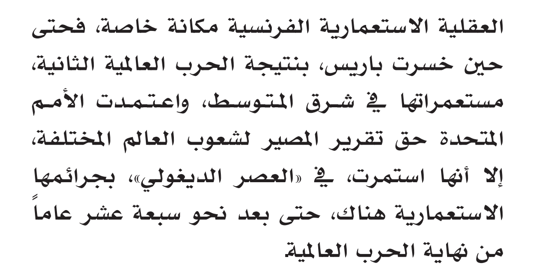
بيد أن الجريمة الفرنسية الأكبر هناك تمثّلت باتباع سلطات «باريس الأنوار وحقوق الإنسان المزعومة» سياسة إبادة موجّهة ومتعمّدة لثقافة وهويّة السكان الأصليين عبر فرض «الفرنسة» عليهم، والعمل الدؤوب على تفكيك أوصال مجتمعهم، وصولاً إلى إحلال مرتزقة فرنسيين مكانهم، واستخدامهم كوقود رخيص لآلتها العسكرية الضخمة في حروبها الاستعمارية في بلدان العالم المختلفة.

الجريمة المستمرة

والحال، ما سبق لا يمكن إدخاله إلا تحت بند الجرائم الكبرى ضد الإنسانية، وقد يقول البعض إنها حدثت في أزمنة سابقة وفي ظل نظام استعماري عالمي سائد ومتفق عليه، لكن ثلاثة حقائق صادمة تقول العكس تماماً، أولها حقيقة «استمرار التجارب البيولوجية على الجزائريين إلى عام ١٩٧٨»، وثانيها رفض باريس منح الجزائر خرائط أماكن التفجير النووي المذكورة لمعالجة آثارها الكارثية، وثالثها رفضها الاستعلائي الاعتذار عن كل هذه الجرائم، وتلك ركائز ثابتة لجريمة مستمرة ارتكبت - ولا زالت - بقلب، وعقل، باردين ومجرمين.

مرارة فرنسية!!

والأمر، فإن تلك الحقائق وهذا التصريح الجديد يؤكدان معاً أن في الأمر شيئا من مرارة خسارة مُلك ما. مُلك ثابت موروث لا يحق لأحد التشكيك فيه، والحقيقة أن للجزائر في



العقلية الاستعمارية الفرنسية مكانة خاصة، فحتى حين خسرت باريس، بنتيجة الحرب العالمية الثانية، مستعمراتها في شرق المتوسط، واعتمدت الأمم المتحدة حق تقرير المصير لشعوب العالم المختلفة، إلا أنها استمرت، في «العصر الديغولي»، بجرائمها الاستعمارية هناك، حتى بعد نحو سبعة عشر عاماً من نهاية الحرب العالمية.

سبب انتخابي فاضح!!

وقد يقول البعض، مبرراً، إن هذا التصريح صدر في سياق انتخابي فرنسي يميل نحو المزايدة «يميناً» بين المرشحين، وهذا كلام لديه قدر كبير من الصحة، لكنه في النتيجة أكثر فداحة وخطورة، فذلك يعني أن الأمر يتجاوز شخص ماكرون ليشمل نخبة سياسية وثقافية، و«شعبية»!!» فرنسية لا زالت تعيش بعقلية استعمارية استعلائية ترفض حتى اللحظة الإقرار بجرائمها، وأكثر من ذلك، تصرّ على الاستمرار في استعمار دائم لا يقبل حتى مصالحة الذاكرة مع تاريخه ومع ضحاياه السابقين والمستمرين أيضاً.

السبب الاقتصادي

ولأن السياسة هي الاقتصاد مكثفاً، كما يقول البعض، فيبدو أن للأمر جانبا آخر يمكن فهمه من خلال مثال «استعماري» أحدث من الفرنسي، وهو المثال الأمريكي الذي يستمر بشن الحروب رغم فشله في تحقيق أهدافه الظاهرة منها، وتلك مفارقة لا يفسرها سوى الكشف عن حقيقة أهدافه الخفية، وهي، بحسب صحيفة «غلوبال تايمز» الرسمية الصينية، «سعي صناعات الدفاع الأميركية لتحقيق الأرباح من خلال الحروب. هي تؤمّن مقوّمات القوّة للولايات المتحدة للإبقاء على هيمنتها العالمية، وتجني الأرباح خلال هذه العملية. وطالما بقي التداخل بين مصالح صناعات الدفاع والاتجاه الأميركي للهيمنة الشاملة، لن تتعلّم واشنطن من دروس الماضي، وسيدفعها هذا التداخل إلى القيام بأعمال لا تستطيع تحمّل أكلافها».

هنا نفهم أحد أهم أسباب محاولة ماكرون إبقاء التوتر قائماً، في أفريقيا تحديداً، كونها آخر مناطق نفوذه، وخاصة بعد صفعة خسارته لصفقة الغواصات الأسترالية، والتي كلّفت كارتيلات صناعة السلاح الفرنسية خسارة نحو ٥٠ مليار دولار، وتكاد تكلّفه خسارة مستقبله السياسي إذا لم يعوضها بضجيج سياسي حول شخصه ودوره من جهة أولى، وحول بلاده من جهة ثانية، ليساهم هذا الضجيج الكلامي في إبقاء الحاجة مستمرة لضجيج آلات مصانع السلاح بحجة الدور الفرنسي والرسالة التنويرية و«عظمة» الرجل الأبيض الكبير.

وأمام المصالح لا معنى للإنسان وهمومه ومشاكله. ومرحباً بالحروب التي أضحت، وكانت سابقاً، أهم الموارد التي تمد شرايين النظام الرأسمالي بالنسغ المطلوب للبقاء والتمدد.

ليبيا.. عندما يؤدي «التدخل الإنساني» إلى جرائم ضد الإنسانية!!

"البعث الأسبوعية" ـ ترجمة بتصرف

عندما شنت إدارة باراك أوباما، جنبا إلى جنب مع حلفاء واشنطن في الناتو، حربا جوية للإطاحة بالزعيم الليبي معمر القذافي في عام ٢٠١١، روجت لتوقعات عالية بشأن مستقبل ليبيا، غير أن النتيجة كانت قصة رعب مستمرة.

خاضت الفصائل المتناحرة صراعات على السلطة أدت إلى تدفقات متكررة من اللاجئين اليائسين، حيث حاول العديد منهم القيام برحللت محفوفة بالمخاطر عبر البحر الأبيض المتوسط في قوارب صغيرة محملة فوق طاقتها للوصول إلى أوروبا. أصبحت دول أخرى، بما في ذلك مصر وتركيا والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وروسيا أطرافا في الصراع، ودعمت اللاعبين السياسيين والعسكريين المفضلين لديها، ما زاد من إراقة الدماء والفوضى. وليبيا اليوم هي ساحة حروب بالوكالة بين عملاء تلك القوى الخارجية.

يسلط تقرير جديد صادر عن الأمم المتحدة الضوء على حجم المأساة التي ساعد قادة الولايات المتحدة في إطلاقها. فقد حددت بعثة تقصي الحقائق التابعة للأمم المتحدة جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية ارتكبتها أطراف متعددة، منذ عام ٢٠١٦. وقال محمد أوجار، رئيس بعثة تقصي الحقائق، في بيان: "أثبتت تحقيقاتنا أن جميع أطراف النزاع، بما في ذلك الدول الأخرى والمقاتلون الأجانب والمرتزقة، قد انتهكوا القانون الإنساني الدولي، لا سيما مبادئ التناسب والتمييز، وبعضهم ارتكب جرائم حرب".

ووجد التقرير أن العنف، بما في ذلك الهجمات على المستشفيات والمدارس، "أثر بشكل كبير على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية" في ليبيا. كما تم توثيق تجنيد الأطفال ومشاركتهم في الأعمال العدائية، فضلا عن الاختفاء والقتل خارج نطاق القضاء لنساء بارزات. وأكد أحد أعضاء البعثة تقارير استمرار وجود مقاتلين أجانب في البلاد. ومن بين هؤلاء الفصائل الإرهابية التي يستخدمها الرئيس التركي أردوغان كجيش من المرتزقة التكفيريين لخدمة أطماعه التوسعية وخاصة في سورية.

يا له من تناقض مع التفاؤل الذي نظرت به إدارة أوباما إلى النتائج الأولية لحملتها الصليبية الإنسانية. فعشية سقوط نظام القذافي، صرح الرئيس الديموقراطي أن "طرابلس تنزلق من قبضة طاغية. ويُظهر شعب ليبيا أن السعي العالمي لتحقيق الكرامة والحرية أقوى بكثير من القبضة الحديدية لدكتاتور". في أعقاب القبض على القذافي وإعدامه بوحشية، أكد أوباما أن "الظل المظلم للاستبداد قد أزيل" من ليبيا.

كان المؤيدون الآخرون للتدخل أكثر حماسة. خلص السناتور جون ماكين (جمهوري من أريزونا) وليندسي جراهام (جمهوري من ولاية ساوث كارولينا) إلى أن "نهاية نظام القذافي انتصار للشعب الليبي وقضية الحرية الأوسع في الشرق الأوسط وفي جميع أنحاء العالم". كما أكدت الأستاذة بجامعة برينستون، آن ماري سلوتر، أن المشككين في هذا التدخل "ثبت خطأهم الشديد". وقال نيكولاس كريستوف، كاتب العمود في صحيفة نيويورك تايمز، أن ليبيا كانت بمثابة "تذكير بأن من الممكن أحيانا استخدام الأدوات العسكرية لدفع القضايا الإنسانية".

توفر المعلومات الواردة في تقرير الأمم المتحدة تأكيدا إضافيا على أن ليبيا كانت في حالة فوضوية منذ حرب واشنطن لتغيير النظام. علاوة على ذلك، على الرغم من الهدنة بين الفصيلين الرئيسيين (حكومة الوفاق الوطني المعترف بها دوليا والجيش الوطني الليبي بقيادة المشير خليفة حفتر)، فإن احتمالات إنهاء الفوضى من خلال الانتخابات المقرر إجراؤها في كانون الأول المقبل هشة للغاية.

الانتهاكات التي حددتها الأمم المتحدة ليست سوى أحدث حلقة في سلسلة طويلة من التطورات البشعة. وفي الواقع، كان انهيار النظام الاجتماعي في ليبيا واسع النطاق لدرجة أن أسواق الرقيق التي تضم المهاجرين الأفارقة السود الأسرى قد عادت إلى الظهور مرة أخرى.

ولسوء الحظ، يبدو أن العديد من الأطراف المسؤولة عن مأساة ليبيا لم تتعلم شيئا من العواقب الكارثية للسياسات التي دفعتها. سوف ينظر المرء عبثا في كتابات وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون أو موظف مجلس الأمن القومي سامانثا باور، وهما من أكثر شخصيات الضغط المؤيدة للتدخل داخل إدارة أوباما، بحثا عن أي اعتراف بالخطأ.

ولا يزال الشعور بالنشاط الأمريكي بشأن قضية ليبيا مرتفعا. حتى اليوم، هناك دعوات في كل من الولايات المتحدة وأماكن أخرى لواشنطن لـ "تكثيف" وقيادة جهد دولي لخلق "ليبيا أكثر استقرارا". وهؤلاء الأفراد والمنظمات الذين يدافعون عن مثل هذه "الدورة التدريبية" الجديدة يتسترون على النتائج غير الكارثية للحرب الأمريكية.

واليوم، لا يزال يُحسب للرئيس بايدن أنه كان أحد أعضاء فريق السياسة الخارجية لأوباما الذي عارض بشدة التدخل الأصلي. ويتذكر كبار المسؤولين في إدارة أوباما أن بايدن قال خلال اجتماع مهم للرئيس ومستشاريه في السياسة الخارجية "إن التدخل كان، في الأساس، جنونا - فلماذا يجب أن نتورط في حرب أخرى في دولة ذات أغلبية مسلمة؟".

الآن كرئيس، يحتاج بايدن إلى تجنب إغراء الموافقة على مزيد من التدخل الأمريكي - خاصة إذا كان لديه أي عنصر عسكري، مثل مشاركة واشنطن في مهمة حفظ سلام دولية. لقد فعلت الولايات المتحدة وحلفاؤها ما يكفي لهذا البلد الفقير بالفعل. حتى الدور الدبلوماسي يجب أن يظل محدودا. لقد أخطأت واشنطن مرارا وتكرارا في قراءة الديناميكيات الداخلية في المجتمعات الإسلامية وتبنت سياسات تؤدي إلى نتائج عكسية. ويحتاج قادة الولايات المتحدة إلى البقاء في الخلفية والسماح للحكومات الأخرى بأخذ زمام المبادرة في التعامل مع الصراعات الداخلية في ليبيا. ويجب أن يركز الدور الدبلوماسي للولايات المتحدة على حث روسيا وتركيا واللاعبين الخارجيين الآخرين على وقف مبيعات الأسلحة ونشر المرتزقة وغيرها من الإجراءات التي تؤدي إلى تفاقم القتال في ليبيا.

أدى خلق بيئة فوضوية يمكن أن تزدهر فيها جرائم الحرب والانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان إلى إلحاق ضرر جسيم بالشعب الليبي، وتتحمل واشنطن معظم المسؤولية عن تلك المأساة. علاوة على ذلك، لا يهم إذا كانت نوايا الولايات المتحدة جيدة ؛ ومهدت الطريق إلى الجحيم بالنوايا الحسنة. يجب الحكم على السياسات من خلال عواقبها، وليس من خلال دوافعها أو أهدافها.

يوثق تقرير الأمم المتحدة الجديد بإسهاب العواقب القبيحة وطويلة المدى لتدخل الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي. وليبيا ما بعد القذافي هي مكان أسوأ مما كانت عليه. ويحتاج مسؤولو إدارة بايدن إلى تعلم الدروس المناسبة، مهما كانت واقعية ومتواضعة.

على الأوروبيين مواجهة السياسة الخارجية الأمريكية القديمة - الجديدة

"البعث الأسبوعية" ـ هيفاء علي

عند توليه منصبه، أيد العجوز بايدن نقلة نوعية في السياسة الأمريكية وبعد الانعطافات والتجربة وارتكاب الأخطاء التي ميزت العقدين الماضيين، يواصل الفريق الجديد الانتقال الذي بدأه سلفه ترامب ويعمل على ترسيخه: الهيمنة على القرن الحادي والعشرين بدون أي غموض في المواجهة مع الصين.

الصين.. ثم الصين.. ثم الصين

في ظل إدارة أوباما، تم تحديد الصين وروسيا على أنهما القوتان اللتان تحاولان "تحدي عناصر معينة من النظام العالمي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة". في السياق، سلطت وثائق رئاسة ترامب الإستراتيجية القومية المؤقتة، والتي أقرها فريق بايدن الجديد، الضوء بشكل أساسي على الصين "المنافس الوحيد القادر على الجمع بين أنشطته الاقتصادية والدبلوماسية والعسكرية وقوته التكنولوجية لتشكيل تحد دائم لنظام دولي مستقر ومنفتح". لذلك ليس من المستغرب أن يتم حث الحلف الأطلسي على التكيف مع هذا الأمر بأسرع وقت ممكن. وبالفعل، تم ذلك في قمة لندن ٢٠١٩، مع إشارة أولى إلى أن الصين تقدم "فرصا وتحديات يجب أن يستجيب لها الحلف".

وفي مؤتمر ميونيخ، في شباط ٢٠٢١، حدد الأمين العام لحلف الناتو الصين رسميا في قائمة التحديات، وأومأ الحلفاء الأوروبيون برأسهم، ولكنهم قلقون بشأن مصداقية الضمانات الأمريكية: لقد مضى وقت طويل منذ أن تخلت الولايات المتحدة عن العقيدة التي كانت تتصور خوض حربين في نفس الوقت. وقد أكد ذلك مؤخرا الرئيس الديمقراطي للجنة القوات المسلحة بالكونغرس: "يجب أن نعترف بأننا لا نستطيع الهيمنة في كل مكان، لا سيما في النزاعات المتزامنة". لكن الجميع يأخذ بجدية هذا التحذير من ستيفن إم والت: "لإنقاذ الناتو، يجب أن يصبح الأوروبيون أعداء الصين"، إلى رئيس الجمعية البرلمانية لحلف الناتو، النائب الديمقراطي جيرالد كونولي، الذي يقول الشيء نفسه بطريقة أكثر أناقة: "يجب على الحلفاء مضاعفة جهودهم لمواجهة التحدي [المتمثل في القوة الصاعدة للصين إذا كانوا يريدون من التحالف الحفاظ على أهميته".



فزاعة روسيا

تعمل الوثائق الإستراتيجية الأمريكية على تسويق فكرة أن الصين هي "المنافس الاستراتيجي" الرئيسي، أما روسيا فهي "المُخلّة" بالأمن، والتي "تزعزع الاستقرار". الشيء الرئيسي بالنسبة للولايات المتحدة هو سياسة احتواء الصين والاستفادة من الرافعة الأوروبية الضرورية لتحقيق هذا الهدف. فكلما زاد الأمريكيون من تخويف الأوربيين من التهديد الروسي، كلما سهل عليهم تجنيد الأوروبيين في هذه "الإستراتيجية الكبرى". إذ يمكن لواشنطن أن تؤمن ولاء حلفائها الأوروبيين المنقسمين بطريقتين: إما كحامية موثوقة لأولئك الأكثر ميلا للتقارب مع روسيا، أو بجعل التعاون بين موسكو والحلفاء الغربيين مستحيلا، مثل تعاونها مع باريس أو برلين أو روما.

ومن هنا جاءت مواجهة إدارة العجوز بايدن للتحركات الروسية على الحدود الأوكرانية، في نيسان ٢٠٢١، من جهة، وضغطها المقترن بالتهديدات كرد على خط أنابيب نورد ستريم ٢ الروسي الألماني من جهة أخرى. ورغم كل هذه التهديدات، فقد تم تشغيل هذا الخط مؤخرا. وفي كلتا الحالتين، يتعلق الأمر بضمان أن "التضامن الاستراتيجي في الناتو يحظى بالأولوية على الاستقلال الاستراتيجي الأوروبي"، على حد تعبير ينس ستولتنبرغ، الأمين العام للحلف.

الجزء الثالث من اللغز هو الوصول الأمريكي إلى سياسة الاتحاد الأوربي الدفاعية، حيث حصل الفريق الجديد على مشاركته في مشروع "التنقل العسكري"، وهو جزء من مجموعة مبادرات تهدف، من حيث المبدأ، إلى تعزيز الاستقلالية الأوروبية. وكما قال مستشار البنتاغون السابق روبرت د. كابلان، فإن "الناتو والدفاع الأوروبي المستدام ذاتيا لا يمكن أن يزدهرا كلاهما. أحدهما فقط يمكنه ذلك، ومصلحتنا أنه حلف الناتو، وهكذا ستكون أوروبا مصدر قوة لنا، وليست عائقا لنا عندما نواجه الصين". على حد تعبيره.

تفكك أوروبا

بالنسبة للمراقبين الخارجيين، فإن تشخيص الوضع واضح: بدلا من التركيز على الصين أو روسيا واعتبارهما "عدوتين" لأوروبا، بناء على أوامر واشنطن، يجب التركيز على الهجرة الجماعية لأنها هي التي تشكل التحدي الدائم للقارة العجوز على مدى العقود القادمة، مع التغيرات الديموغرافية والقضايا الثقافية التي تنطوي عليها. وها هو الدبلوماسي الجامعي السنغافوري كيشور محبوباني يصفها بوضوح شديد في كتابه الأخير، الذي حمل عنوان "هل فازت الصين؟".

ووفقا له: بسبب "جغرافية أوروبا البائسة"، فإن احتمال تعرضها للغزو من قبل ملايين المهاجرين الذين يصلون في قوارب صغيرة أمر معقول للغاية. وإذا لم تتحسن الظروف السياسية والاقتصادية بسرعة في القارة الأفريقية، يمكن لأوروبا أن تتوقع أن يطرق أبوابها مئات الملايين من الأفارقة". وبالنظر إلى حجم الخطر وتعقيده، سيحتاج الأوروبيون إلى جميع الحلفاء المحتملين.

وفي حربها العالمية المزعومة ضد الإرهاب، تواصل الولايات المتحدة دورها كحليف مهم على الصعيدين العملي والاستخباراتي. ومع ذلك، فإن الأوروبيين في وضع ديموغرافي وجغرافي مختلف تماما، ويمكن التأكيد أنهم يتعرضون للتهديد من قبل بعض الهجمات الدموية، ولكن هذا التهديد المتوقع لن يطال تماسكهم الاجتماعي، وثقافتهم، ووجودهم. لذلك لن يركزوا جل طاقتهم على شيء آخر، أي الصين، ولكن بمجرد أن يهتموا بالأبعاد الأخرى للتحدي، فقد تجد واشنطن نفسها في معارضة إيديولوجية.

تماما مثلما فعل أوباما الذي مد يده في خطابه الشهير، في القاهرة عام ٢٠٠٩، إلى العالم الإسلامي من خلال تشويه سمعة فرنسا دون تسميتها: "من المهم أن تتجنب الدول الغربية منع المسلمين من ممارسة دينهم كما يحلو لهم على سبيل المثال، من خلال إملاء ما يجب أن ترتديه المرأة المسلمة. ولا يمكن إخفاء العداء للدين تحت ستار الليبرالية". في المقابل، كما قال أوباما، "تستخدم حكومة الولايات المتحدة المحاكم لحماية حق النساء والفتيات في ارتداء الحجاب ومعاقبة من يتحداهن". وبسبب سوء الفهم الكامل في أمريكا لمفهوم العلمانية الذي اختصرته إلى الحرية الدينية وحدها، سيبقى الرئيس بايدن وحاشيته على هذا الخط، إن لم يكن أكثر.

لمواجهة التحدي المزدوج المتمثل في الهجرة الجماعية والإسلام السياسي، سيكون لأوروبا حليفان طبيعيان آخران: الصين وروسيا. ويمكن أن تكون بكين شريكا مفيدا بشكل خاص لتحقيق الاستقرار والتنمية في أفريقيا. وبالنسبة لموسكو، يلاحظ جان بيير شيفنمان، الممثل الخاص للرئيس ماكرون في روسيا: "لدينا في الأساس نفس الخصوم، نفس المخاوف من النظام الدولي. فروسيا دولة كبيرة وعظيمة جدا، تضم مائة جنسية، وعشرون مليون مسلم. وروسيا عانت كثيرا من الإرهاب. لذلك، لا يزال لدينا بعض المصالح المشتركة مع روسيا"، إلا إذا طالبت واشنطن بتحالف لا تشوبه شائبة من حلفائها في سياستها تجاه هذين البلدين. ويشير تقرير حديث صادر عن خدمة الأبحاث في الكونغرس الأمريكي: "يشكو المسؤولون الأوروبيون بانتظام من أن الولايات المتحدة تتوقع دعما تلقائيا منهم". في الواقع، عندما يستمع الأوروبيون إلى الرئيس بايدن وهو يقول إن أمريكا "تقود العالم" مرة أخرى، و"تنضم إلى الحلف"، فإنهم يعلمون أنه سيُطلب منهم الانضمام إلى أقوى حليف لهم. في كلتا الحالتين، بغض النظر عن الإدارة الأمريكية، رد فعل الأوروبيين هو نفسه، ويتلخص في "احترامهم المفرط للولايات المتحدة"، وفق ما حدده مستشار سابق في وزارة الخارجية والمدير البريطاني السابق لوكالة الدفاع الأوروبية. ففي عهد دونالد ترامب، تم تقديم التنازلات بدافع الخوف؛ ولدرء مزاج الرئيس الأمريكي غريب الأطوار، جو بايدن، وجد الأوربيون أنفسهم مرغمين على تقديم الشكر والامتنان له لحسن معاملته لهم".

انعدام التكافؤ الأساسي للعلاقة لا يتغير. فمنذ سنوات خلت، انتقد الجنرال دوغول واشنطن لاستبدالها التشاور البسيط بالقرار المشترك، ومنذ ذلك الحين، حتى الاستشارات باتت نادرة. فقد واجه الحلفاء أمرا واقعا بقرار جو بايدن الانسحاب من أفغانستان (حتى عندما كان الجنود الأمريكيون يقدمون ربع قوة القوة الدولية فقط). وشاهدوا بدهشة احتجاجات إدارة بايدن التي وصفت، في غضون أيام قليلة، فلاديمير بوتين بـ "القاتل"، والصين بارتكاب "الإبادة الجماعية" في مواجهة الأويغور، وأنها "أكبر تهديد للاستقرار الدولي". ومن باب الخوف من تعرض الشراكة مع أمريكا للخطر، استسلم الأوروبيون لها بكل سرور.

حضر وزير الخارجية أنطوني بلينكين مجلس الشؤون الخارجية، في نهاية شباط ٢٠٢١، عن طريق بالفيديو، وتقرر حينئذ تنفيذ عقوبات جديدة ضد روسيا. وبعد شهر، فرض الاتحاد الأوروبي أولى العقوبات منذ ٣٠ عاما على الصين بالتنيسق مع واشنطن كعقوبة على ما تزعمه "معاملة الأويغور". كل ذلك تحت التهديد المستمر بالانتقام الأمريكي من الشركات الأوروبية، وذلك بفضل نظام العقوبات المتجاوز للحدود الإقليمية وهنا يتساءل احد المحللين الأوربيين: ألم يحذر وزير الدفاع الألماني، عشية الانتخابات الأمريكية، من أن "أوهام الاستقلال الاستراتيجي يجب أن تنتهي"؟ لقد سارع القادة الأوروبيون الآخرون للانضمام إليها، وتبقى باريس، كما هو الحال دائما، هي الوحيدة التي تكرر: الاستقلال الاستراتيجي شرط لا غنى عنه لـ "القدرة على أن نزن أنفسنا، وأن لا نصبح تابعين لهذه القوة أو تلك. لم يعد لدينا أي كلمة نقولها".

كان السفير الصيني في بروكسل قد سخر من التخلي عن رفع حظر الأسلحة عن الصين بسبب "الخضوع المثير للشفقة" للأوروبيين "غير القادرين على اتخاذ قراراتهم دون أن يتأثروا بقوى أخرى". اليوم، يحذرهم مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق هربرت ماكماستر: "إما أن ينحازون إلى واشنطن ضد الصين، أو يختارون "العبودية" في بكين. الرؤيتان تكملان وتعززان بعضهما البعض. وهاتان الرؤيتان تؤكدان الملاحظة التي أبداها الرئيس الفرنسي: "ما لم يفترضوا بشكل كامل طموحهم للاستقلال، فسوف يتعين على الأوروبيين الاختيار بين سيطرتين"، في عالم "منظم حول قطبين رئيسيين: الولايات المتحدة الأمريكية والصين".

أربعائيات

عودة العالم إلى سورية - الجوهر والمظهر!..

د. مهدي دخل الله

أظهـرت مراكز البحوث في عدد كبير مـن الدول اهتماماً مركزاً بظاهرة « انفتاح العالم » على سـورية من جديد . كثير من هذه البحوث رأت في هذه الظاهرة « تغيراً ذاتي المنشأ » في مواقف دول حاربت سورية ودعمت الإرهاب فيها لمدة عشر سنوات .

من يطلع على هذه البحوث والتقارير التي تعد بالعشـرات يشـعر وكأن « هداية إلهية » نزلت على قلوب رؤساء وملوك ووزراء في دول عربية وغربية, بعـد أن كانـوا من ألد أعداء سـورية وأكثر الداعمـين لإرهاب دولي منفلت من عقاله .

وهنـاك مـن لا يـرى في هذه الظاهـرة هداية وإنما يعدهـا مجرد نتيجة لارتباك متراكم في سياسـات أعداء سـورية وضعف في التنسيق بينهم . هذا كله يعني أن التغيير الطفيف في مواقف العداء لسورية هو « منّة » و« منحة » حصلت عليها سـورية بسـبب « الكرم » أو « الارتباك » أو كليهما لدى هذه القوى .

ولـو أحببنا الاسـتمرار في هذا التفسـير الرومنسـي للظاهـرة لاعتقدنا جميعاً بأن سـورية بلد محظوظ بسـبب ما ظهر عند أعدائه من « هداية » أو « ارتباك » في السياسات .

بالمقابل . يساعدنا المنهج النقدي في تحليل الظواهر على معرفة الحقيقة بعيـداً عـن الخيـال والرغبة . يؤكد هـذا المنهج علـى أن الخطوة الأولى في تحليـل الظاهرة اكتشـاف جوهرها . ففي الجوهر يتموضـع الفعل ، بينما يتموضع الأثر في المظاهر .

لابـد دائمـاً من البحث عن الفعـل كي نفهم المظاهر وليـس العكس كما تفعل مراكز البحوث المسيّسـة ، وكذلك عدد كبير من المتابعين والصحفيين اللاهثين خلف تقرير أو خبر دون تمحيص .

الفعـل في ظاهرة « العودة إلى سـورية » هـو النجاح في « التصدي الكبير» الذي يعد من أهم معجزات العصر إذا أخذنا بعين الاعتبار حجم الإمكانات المحشـودة ضد سـورية ونوعها . أما الانعكاس فهو في عودة « أعداء الأمس » إلى سورية مطأطئي الرأس محنيي الظهر .

لا شـكر على عودتهم ، لأن الشـكر يتوجه لصاحب الفعل ، شـعب سورية العظيم ، فهو الذي فرض على الظاهرة انعكاساتها ومظاهرها .

mahdidakhlala@gmail.com.

منظومات الأدوية تركز على أرباح الشركات وليس على الحاجة العلاجية

صناعة الأدوية.. الإنفاق على التسويق يتجاوز بكثير الإنفاق على البحوث



"البعث الأسبوعية" ـ عناية ناصر

تقوم صناعة الأدوية بحملات جادة من أجل براءات اختراع أقوى في جميع أنحاء العالم، لكن حتى خبراء الاقتصاد التقليديون ينتقدون بشدة براءات الاختراع في الطب، ففي بعض الحالات، تُباع الأدوية الحاصلة على براءات اختراع بآلاف المرات أكبر من تكلفتها. ويقول ريتشارد هورتون، في مجلة "ذا لانسينت"، إن "تاريخ الطب مليء بالنتائج المبكرة التي يتضح وبعد فترة من الزمن أنها ليست رائعة جداً، بل إنها في الواقع سلبية. وهناك سلسلة كاملة من الأمثلة الحديثة، إذ أدت البيانات الأولية إلى الكثير من الإثارة وتسببت في تغييرات في الممارسة السريرية لندرك في النهاية أنها تسببت في ضرر أكبر من نفعها. فلماذا لا نتعلم هذه الدروس أبداً؟".

البحث في المشكلات الخاطئة

ركزت معظم أبحاث الأدوية على مشاكل العالم الغني. وتقول منظمة "أطباء بلا حدود "إن ٢١ دواء فقط، من أصل ١٥٥٦، تم طرحها في السوق العالمية من ١٩٧٥ إلى ٢٠٠٤، كانت تهدف إلى مكافحة الأمراض "المهملة"، أي الأمراض التي توجد في الغالب في البلدان الفقيرة. وتقضي شركات الأدوية وقتاً أطول في البحث عن عقاقير مثل الفياغرا، بدلاً من السل، لأن هذا هو المكان الذي تتحقق فيه الأرباح، رغم أنه يمكن معالجة العديد من المشكلات الصحية الرئيسية في البلدان الفقيرة بتكلفة منخفضة نسبياً. وقد بدأت "منظمة الصحة العالمية"، في عام ٢٠٠٦، في معالجة هذه المشكلة، لكن التمويل الحالي لا يزال غير كافٍ.

التكلفة الاجتماعية.. الأرباح الخاصة

غالباً ما يتم تمويل المراحل الأولى من البحث والتطوير في مجال الأدوية علناً، حيث تدفع الجامعات والحكومات في جميع أنحاء العالم الكثير من التكاليف. ولا تشارك الشركات، غالباً، إلا بعد التأكد من أن الاختبارات المبكرة واعدة. وكما أشار أحد المعلقين فإن النظام البيئي بأكمله الذي يتم فيه الابتكار (براءات الاختراع، وحقوق النشر، والتمويل، والجامعات، والبحث، ونقل المعرفة، وقواعد الملكية، والتنظيم لضمان المعايير المشتركة) يتم إنشاؤه بشكل مشترك بين العام والخاص.

ومع ذلك، فإن الشركات التي تحصل على براءات الاختراع تحتفظ بالأرباح، فبمجرد حصولها على براءة اختراع لعقار ما يمكن للشركات أن تتقاضى كل ما يزيد من أرباحها. وبعبارة أخرى، كل ما يستطيع الأغنياء دفعه. وفي حالة شديدة التطرف، كلف عقار يسمى Cerezyme أكثر من ٢٠٠ ألف دولار للعلاج لمدة عام على الرغم من أن كل التطوير تقريباً قد تم تمويله علناً. وهكذا ينتهي الأمر بأنظمة الرعاية الصحية في البلدان الغنية بتقنين الأدوية بسبب تكلفتها.

وفي ظل هذه الظروف، لا معنى للسماح للشركات الخاصة بالاحتفاظ بكل أرباح الأدوية المسجلة. إنها طريقة أخرى يتم فيها تزوير الاقتصاد بأكمله لتحويل الثروة الهائلة إلى أيدي المديرين التنفيذيين والمساهمين في الشركات الكبرى.

حرمان الدول الفقيرة

كي يفيد دواء ما ملايين الأشخاص في البلدان الفقيرة، لا بد من توفيره بأرخص سعر ممكن. لكن شركات الأدوية الكبرى التي لديها براءات اختراع لهذه الأدوية تريد التحكم في توفير هذه الأدوية وفرض أعلى الأسعار.

وتقوم منظمة التجارة العالمية بفرض براءات الاختراع من خلال اتفاقية حقوق الملكية الفكرية، وهي تسمح للدول الفقيرة بعمل نسخ رخيصة من الأدوية المهمة، وكانت هناك بعض الأحكام القانونية المهمة في بعض البلدان مثل الهند لتحقيق ذلك. وعلى الرغم من ذلك، لا تزال شركات الأدوية تمنع الوصول إلى الأدوية في جميع أنحاء العالم، ما يضطر معظم الدول الفقيرة إلى الخضوع لارتفاع الأسعار بسبب تهديدات الولايات المتحدة وبريطانيا ودول متقدمة أخرى.

حاول زعيم جنوب إفريقيا، نيلسون مانديلا، الحصول على عقاقير منخفضة التكلفة لعلاج الإيدز، فالشركات الغربية تتقاضى ١٥ ألف دولار في السنة، في حين إن الشركة الهندية يمكن أن تصنع نفس الأدوية مقابل ٣٠٠ دولار، لكن مانديلا تعرض للتهديد بالعقوبات بعد أن ضغطت شركات الأدوية على الحكومة الأمريكية، ومات الملايين من الناس في أفريقيا لأنهم لم يتمكنوا من تحمل تكاليف الأدوية باهظة الثمن.

"القضية الحقيقية للشركات متعددة الجنسيات (شركات الأدوية) ليست أسواق الدول الفقيرة، والتي هي صغيرة من الناحية المالية، ولكن كيف سيتم إقناع الآلاف من الناس في البلدان الغنية، وخاصة الولايات المتحدة، بتقبل الموت من السرطان وأمراض أخرى لأنهم لا يستطيعون دفع عشرات الآلاف من الدولارات سنوياً يتطلبها جيل جديد من العلاجات إذا تمكنت الشركات الهندية من تصنيع وبيع الأدوية نفسها بجزء بسيط من السعر؟

كثير من الأدوية مبالغ بأثمانها

إن نسبة كبيرة من الأدوية الجديدة ليست أكثر فاعلية من الأدوية الموجودة، فقد أجرى المعهد الوطني الأمريكي للصحة دراسة، نشرت في عام ٢٠٠٢، لمعرفة ما إذا كانت أدوية الضغط المرتفع الموجودة حالياً فعالة. كانت بعض الأدوية بين أكثر الأدوية مبيعاً في العالم، ووجدت الدراسة أن مدرات البول القديمة تعمل بشكل جيد أو أفضل من أي شيء آخر. وتبلغ تكلفة مدرات البول ٣٧ دولاراً سنوياً، بينما تكلف الأدوية الأخرى التي تم اختبارها ٢٣٠ - ٧١٥ دولاراً سنوياً، لكن المفارقة أن الأطباء كانوا يصفون في الغالب الأدوية الأكثر تكلفة.

تم إنفاق مبالغ ضخمة من المال على أدوية السكري، مثل أفانديا، التي تبين أنها غير فعالة. وعندما تم تقديمها، لأول مرة، تم الترويج لها في البداية على أنها منقذة للحياة. كان عقار الإنفلونزا، تاميفلو، ذا قيمة قليلة، لكن تم شراء مخزونات ضخمة ضد إنفلونزا H١N١ في عام ٢٠٠٩، بسبب بيانات بحث مضللة وضغوط الشركات، فقد حجبت الشركة المصنعة، روش، البيانات لتضليل الجميع، وهذا ما يجب اعتباره جريمة خطيرة، وهو غير قانوني في الواقع.

الانفاق على التسويق أكثر من الإنفاق على البحث

إذا كان الدواء فعالاً حقاً، فإنه لا يحتاج إلى تسويق، فالدراسات العلمية الصحيحة ستظهر فوائده، وسيستخدمه الأطباء وشبكات الرعاية الصحية في جميع أنحاء العالم ومع ذلك، ونظراً لأن معظم الأدوية ليست فعالة جداً، تحتاج الشركات إلى إنفاق مبالغ ضخمة لـ "إقناع" الأطباء بهذه الأدوية. وهذا يشمل الهدايا والعطلات والإغراءات الأخرى (والتي هي صورة من الرشاوى). والمؤسف أن العديد من الأطباء يقبلون هذا الأمر. وفي المجمل، يتم إنفاق المزيد على التسويق أكثر من البحث، ويتم دفع ثمن هذا التسويق في النهاية من قبل الذين يشترون الأدوية، ما يجعلها أكثر تكلفة؛ والمشكلة أن العديد من الأدوية الجديدة أدوية مقلدة يتم إنفاق مبالغ طائلة على تسويقها ولكن لن يفتقدها أحد إن لم تكن موجودة.

الغش والخداع

تعد صناعة الأدوية من أكثر الصناعات فساداً في العالم، حيث تمت إدانة معظم شركات الأدوية الكبرى ببيع أدوية ضارة، وأحيانًا مميتة. وقد تم فرض غرامات على هذه الصناعة بأكثر من ٥٠ مليار دولار خلال العشرين عاماً الماضية.

فقد تم تغريم شركة " كلاكو سميث كلاين"، في عام ٢٠٢١، بمبلغ ٣ مليارات دولار في الولايات المتحدة بسبب أدوية تتضمن مخدرات، وللاحتيال والرشوة ودفع الإغراءات الباذخة للأطباء للتستر على أدلة البحث السلبية، ولتقديم ادعاءات كاذبة عن الأدوية؛ كما تم تغريم الشركة نفسها أيضاً في الهند وجنوب أفريقيا والمملكة المتحدة. وعلى الرغم من أن هذه الأرقام تبدو كبيرة إلا أنها ليست كافية لردع الشركات عن الاستمرار في ارتكاب هذه الجرائم، إذ يمكن لمبيعات عقار واحد أن تعادل أضعاف هذه المبالغ. وبقدر ما يتعلق الأمر بالشركات، فإنه لا تتم مقاضاة أي فرد على جرائم جنائية وذلك لنقص التشريعات.

في عام ١٩٩٧، تم تغريم بعض شركات الأدوية بسبب تشغيلها كارتلاً عالمياً لتحديد الأسعار. وقد ذهب أحد المؤلفين إلى حد القول إن التعريف الرسمي للجريمة المنظمة ينطبق على أنشطة شركات الأدوية.

ولصناعة الأدوية تاريخ طويل في المبالغة في الفوائد، والتقليل من الجوانب السلبية، وإخفاء النتائج السلبية، فقد أظهرت دراسة حديثة أن الأدوية، تميل، فعلياً، إلى أن تكون ٤ مرات أكثر ضرراً مما يدعي المصنعون، إذ تصل الآثار الجانبية إلى ربع مليون شخص في المملكة المتحدة، و٢ مليون في الولايات المتحدة كل عام.

كان هناك ٥٥ ألف حالة وفاة بسبب عقار "فيوكس إكس" لتخفيف الآلام، ولكن تم حجب البيانات من قبل الشركة المصنعة "ميرك". كما تسببت أدوية السكري، أفانديا، في حدوث عدد كبير من النوبات القلبية والسكتات الدماغية والوفيات. ويعلق أحد الخبراء قائلاً: "إلى أن تصبح العقوبات الأكثر جدوى، واحتمال عقوبة سجن رؤساء الشركات المسؤولين عن هذا النشاط أمراً واقعاً، ستستمر الشركات في الاحتيال على الحكومة وتعريض حياة المرضى للخطر".

لقد وجدت العديد من الدراسات أنه عندما تدفع الشركات فاتورة كبيرة، من المرجح أن تدفع الأبحاث إلى دعم نتائج الأدوية الجديدة. وبعبارة أخرى، يوجد الآن دليل دامغ على أن شركات الأدوية تتلاعب بالبحوث.

وتختبر الشركات الأدوية الخاصة بها، لذلك تم تصميم الاختبار بذكاء للتأكيد على الفوائد وتقليل الأضرار، ولا يتم نشر التجارب السلبية دائماً، ويمكن لمصنعي الأدوية الإفلات من هذا بسبب عدم كفاية التنظيم.

الضوابط التنظيمية

تنفق صناعة الأدوية أكثر من أي صناعة أخرى على الضغط على حكومة الولايات المتحدة، حيث أنفقت ٢٨٠ مليون دولار في عام ٢٠١٨. والغرض من ذلك ضمان وجود القليل جداً من اللوائح التنظيمية لهذه الصناعة. والمنظم الأمريكي يسمى "إدارة الغذاء والدواء" التي تعاني من نقص التمويل، وليس لديها تحليل مستمر وطويل الأمد للسلامة، كما أنها تعاني تضارباً خطيراً في المصالح، مع وجود العديد من الموظفين المرتبطين بالصناعة. وقد ذهب رئيس "إدارة الغذاء والدواء" السابق للعمل في شركة الأدوية، بفايزر. كما يشغل العديد من الأعضاء السابقين في الكونغرس الأمريكي وظائف كجماعات ضغط في صناعة الأدوية.

والمثير للدهشة أن الوضع التنظيمي في بريطانيا أسوأ، إذ لم تنجح الجهة المنظمة في المملكة المتحدة (MHRA) في مقاضاة شركة واحدة، وبلغ مجموع الغرامات التي فرضتها ٧٣٣٠٠ جنيه إسترليني فقط، وتفاخر هذه الجهة بإعطائها ٤٦٧ تنبيهاً و١٥١ تحذيراً في عام ٢٠١٢. ولكن لم يكن لها أي تأثير. ولا يتم إنفاذ القوانين واللوائح، وتضارب المصالح موجود في جميع جوانب نظام الموافقة على الأدوية بالكامل.

لا تفي بالغرض

معظم الناس في بريطانيا، والبلدان الأخرى التي لديها شيء مشابه لخدمة الصحة الوطنية، لا يدركون مدى ما تفعله صناعة الأدوية، لأنهم ليسوا مضطرين لدفع ثمن الأدوية بأنفسهم، فنادراً ما تناقش وسائل الإعلام التكاليف الإضافية التي تتكبدها الخدمة الصحية بسبب استفادة الشركات. وينصب تركيز نظام الأدوية على أرباح الشركات، وليس على الحاجة الطبية، وصناعة الأدوية هي مثال صارخ على صناعة "غير مناسبة للغرض". إنها تخذل معظم الناس في كل من البلدان الغنية والفقيرة. ويقول أحد الخبراء البارزين، بن جولداكر، إن "الدواء معطل"، ويمكن أن يوفر النظام الذي يتم تشغيله على المستوى الوطني نفس الأدوية مقابل جزء بسيط من السعر. ولن يكون هناك عقاقير مقلدة، ولا تسويق باهظ الثمن، ولا ضغط، ولا معارك قانونية على براءات الاختراع، ولا حرمان للبلدان الفقيرة من الأدوية. ويمكن لنظام دولي مناسب أن يركز على الأدوية المطلوبة في البلدان الفقيرة ويجعلها متاحة على نطاق واسع قدر الإمكان وبأقل سعر ممكن. وإذا أردنا مواجهة الفقر العالمي، يتعين علينا تخصيص موارد كبيرة لهذه الأمراض حيث لن يكون هناك ربح يذكر.

لم تكن الدعاية المتعلقة بالمستحضرات الصيدلانية ناجحة تماماً، بسبب النقاشات الإعلامية حول الحاجة إلى الأدوية الرخيصة في الدول الفقيرة. ومع ذلك، فإن الدعاية حول براءات اختراع الأدوية في البلدان الغنية كانت ناجحة للغاية. ونادراً ما تتحدى وسائل الإعلام السائدة نظام براءات الاختراع، أو تناقش حجم الاحتيال الذي يحدث في صناعة الأدوية، أو تكشف أنه يمكن البحث عن الأدوية وإنتاجها بتكلفة أقل بكثير من خلال وسائل أخرى. إن إمكانية وجود صناعة أدوية تديرها الحكومة أمر لا تتم مناقشته أبداً.

مديرية تربية دير الزور.. عام دراسي جديد وعوائق قديمة ومتجددة

"البعث الأسبوعية" ـ وائل حميدي

عام دراسي جديد وإدارة جديدة في مديرية تربية دير الزور، وهي تواجه مشاكل بعضها قديم متجدد، وبعضها في واجهة هذا العام، وما بين مشكلة وفرة الكتب المدرسيه، واعتراض بعض الأهالي على تقسيم الدوام في بعض المدارس الى فوجين، وبين جائحة كورونا، ووفرة الاختصاصيين في مدارس الريف، وما تعانيه المديرية من نقص في آلياتها يبدو من كل هذا أن الإدارة الجديدة في مهمة عمل شاقة تتطلب منها التكيُّف مع الواقع والتنسيق مع الوزارة ومع قيادة المحافظة للتدارك ولإيصال هذا العام الدراسي الى الحد الأدنى من المثالية.

وعلى الرغم من الرضا النسبي الذي أبداه مدير تربية دير الزور جاسم الفريح عن واقع وتفاصيل العام الدراسي الحالي إلا أن النقاط التي طرحناها تبدو ليست بالسهلة أمام طموح الإدارة بأن يكون هذا العام الدراسي ناجحا بكل ما فيه وعلى مختلف التفاصيل.

ولعل من أهم ما تم طرحه الاختصاصات التعليمية على مستوى المدينة وما يعانيه الريف من نقص في هذا الاختصاص، ولجوء المديرية إلى تعيين عدد جديد من الوكلاء إضافة إلى التعيينات الجديدة التي وافقت عليها وزارة التربية، ومشكلة نقص الآليات لتقديم الجولات الميدانية اليومية، وما يعانيه طلبة مدارس الريف، وأهمية توفير مازوت التدفئة، ومع ذلك فإن مدير تربية دير الزور يؤكد بأنها مشاكل قابلة للحل بل وتم حل غالبيتها، لتبقى مسألة الخلل الامتحاني الذي أدى إلى حرمان ١٥ مدرساً من وظائفهم دون العودة إلى المديرية التي اكتفت برفع التظلم باتجاه الوزارة مستغربةً – والحديث على لسان مدير تربية دير الزور – أن تصل العقوبة إلى الحرمان الوظيفي ولم تمر بالاجراءات القانونية المفروضة.

"البعث الأسبوعية"، ومن خلال لقاء مطول مع مدير تربية دير الزور، أفردت صفحاتها لكل هذه المشاكل للوصول إلى تصريح حقيقي يؤدي إلى نتيجة فعلية وإيجابية تصب في صالح الطلبة والتربية على حد سواء.

التشاركية مع المجتمع المحلّي

يقول مدير تربية دير الزور أن عدد الطلبة هذا العام بلغ ١٥٥ ألف طالباً وطالبة، وأن ستة مدارس دخلت في الخدمة، ومن المرتقب دخول مدرستين جديدتين خلال الفصل الثاني، ومجمل المدارس التابعة للمديرية بلغ ٣٥٢ مدرسة موزعة على المجمعات التربوية الثمانية في كل من المدينة، والبوكمال والعشارة والميادين والبوليل والجفرا وأخيراً التبني وحطلة.

ويرى مدير تربية دير الزور أن إعادة تأهيل مدارس الريف هذا العام تبدو صعبة ما لم يتم التعاون مع المجتمع المحلي، وقد وجّهت وزارة التربية للتشاركية مع المجتمع المحلي نظراً لحجم الدمار الذي لحق بغالبية المدارس، ليكون لهذا المجتمع مع الحكومة فريق عمل قادر على تقديم المساعدات المادية أو الفنية.

ويضيف مدير التربية أنه إذا كان بعض المدارس أطلق شكواه الخاصة بجاهزية الصفوف فإن هذه الشكاوى لم تصل الى المديرية رغم جولاتنا شبه اليومية باتجاه الريفين الغربي والشرقي، ونحن توجهنا إلى المجتمع المحلي في أماكن المجمعات التربوية لنكون يدا واحدة من أجل استكمال النقص، وهذه الجولات تتم أيضاً بالتشاركية مع المجتمع المحلي وصولاً إلى أبعد المدارس في المحافظة.

الكوادر الاختصاصية

وحول وفرة الاختصاصيين التربويين في مدارس المحافظة، أشار الفريح إلى وجود فائض من هذا الاختصاص ضمن مدارس المدينة، أما في مدارس الريف فقمنا بسد النقص عبر الاستفادة من توظيف العقود الجديدة البالغة ٩٥٧، باشر منهم ٩٠٧، وذلك بعد أن صدر قرار مباشرتهم، وهؤلاء جميعاً من أبناء الريف الذين سيعملون على استكمال حاجة المدارس في قراهم ونواحيهم، مع الإشارة إلى وجود ١١٠ عقود جامعيين مباشرين، حيث قامت الوزارة بتعيين هؤلاء في إطار سد النقص حينها، وتمت الموافقة على تعيين تسعمائة وسبعين وكيلا في ريف المحافظة قبل بدء العام الدراسي.

نظام الفوجين الاضطراري

وحول تقسيم الدوام المدرسي في بعض المدارس إلى فوجين، وهي الشكوى التي وردت من مدارس المدينة، أشار الفريح بأن اللجوء الى نظام الفوجين يأتي في اطار الفائض في أعداد الاختصاص التعليمي، وفي إطار التباعد المكاني بين الطلبة أيضاً، حيث لاحظنا أن أعداد الطلبة في بعض الشعب تجاوزت الثلاثين طالبا، وقمنا اضطراراً بتقسيم الدوام إلى فوجين مستفيدين من وجود الفائض الاختصاصي في المدينة، وبهذا نكون قد حققنا المراعاة الصحية في مقاومة جائحة كورونا، ونفذنا التوزيع الصحيح للكوادر التعليمية الاختصاصية.

وماذا عن كورونا؟

وفي إطار قريب، يقول الفريح بأن المديرية تقوم بتنفيذ البروتوكول الوزاري الخاص بوباء كورونا عبر دائرة الصحة المدرسية، وأهمها توزيع المعقمات الطبية إلى كافة المجمعات التربوية، ولدينا كمية كافية من هذه المواد بما في ذلك العدد المناسب من المرشات الصحية والتعليمية، والتي تم توزيعها على المجمعات، وهذا يأتي في إطار سعينا لمكافحة كورونا ما أمكن. والحقيقة فقد وردنا مؤخراً ان استيعاب بعض الشعب الصفية في بعض المدارس كبير نسبياً، وهذا يتنافى مع مسألة التباعد المكاني الضرورية، وبناء عليه وجّهنا بتنفيذ نظام الفوجين في تلك المدارس وربما لاقى هذا القرار اعتراضاً من قبل الأهالي؛ وللمعلومة، فقد لاحظنا أن المدارس التي تحتاج إلى وجود ٥٠ مدرساً اختصاصيا فيها ما يقارب مائتا اختصاصي، وبالتالي من المنطق فرض نظام الفوجين للاستفادة من هؤلاء أولا.

مدير الصحة المدرسية ينفي

مع الأرقام الرسمية اليومية الصادرة عن وزارة الصحة الخاصة بأعداد المصابين بكورونا، كان لدير الزور حضور شبه دائم، وكان لها أرقام مرتفعة في الإصابات اليومية، وهذا أثار تساؤلاً لدى الآباء عما إذا كانت مدارس المحافظة خالية من وباء كورونا قياساً على تلك الأرقام، مع ما وردنا عن حالات ارتفاع حرارة لدى بعض الطلبة، والتي لا يمكن البت في تشخيصها ما لم يتم اللجوء إلى دائرة الصحة المدرسية؛ وقد قامت الصحة المدرسية بجولة باتجاه مدارس صبيخان في الريف الغربي بعدما تعالت الأصوات هناك بانتشار ملحوظ لكورونا اعتماداً على المشاهدة العينية، وتبين وجود حالتي التهاب بلعوم فقط، وهذه المعلومة ام تلقَ التصديق الكافي من قبل الأهالي الذين تمنوا أن يتم التدقيق بصحة خلو مدارس المحافظة من الكورونا قياساً على الحضور الواضح لأعداد المصابين في بيانات وزارة الصحة اليومية.

المدارس المختلطة في طريقها للحل

وفي معرض رده على وجود مدارس مختلطة بين الذكور والإناث في بعض مدارس الأحياء التي عاد إليها أهلها مؤخراً، أشار الفريح إلى أن وجود مدارس مختلطة في الأحياء الداخلية كان اضطرارياً في العام الفائت. وبالتالي، قمنا هذا العام بتخصيص أكثر من شعبة صفية في بعض المدارس الابتدائية العاملة في الأحياء الداخلية لطالبات المرحلة الإعدادية والثانوية، وبهذا حققنا الفصل بين الطلبة الطلاب والطالبات بناء على الشكاوى التي وصلت من قبل الأهالي في الأحياء المذكورة، وهذا اجراء مؤقت ريثما ننتهي من تأهيل مدرستين ستدخلان في الخدمة خلال الفصل الثاني.

وماذا عن تأثيث المدارس الجديدة؟

وفي رده حول إمكانية تأمين تجهيزات المدارس المأمول افتتاحها، أكّد الفريح أن التجهيزات مؤمّنة بالتعاون مع منظمة اليونيسيف، مع الإشارة إلى الموافقة الوزارية على رصد مئتي مليون ليرة سورية لشراء أثاث سيتم توزيع قسم منه باتجاه المدارس والمجمعات، مشيراً إلى أن مديرية التربية اتخذت هذا العام مقراً جديداً لها بعد أن كانت في مقر مؤقت، وهذا الانتقال حتّم تأمين إثاث أكبر مما هو متاح، ومع ذلك نحن نتكيف مع الإثاث المتوفر في المقر القديم بانتظار رصد ما يمكن رصده في الميزانية لاستكمال التاثير، والحديث هنا على مستوى التجهيزات المكتبية التي نعلن عبر "البعث الأسبوعية" حاجتنا لمزيد منها.

نقص في المقاعد الدراسية

على مستوى تأمين المقاعد الدراسية، أشار الفريح بأننا ننتظر وصول ٢٥٠٠ مقعد دراسي عن طريق المنظمات، ولغاية اليوم قمنا بتوزيع ١٧٠٠ مقعد من أصل الحاجة الفعلية التي تتجاوز ٣٠٠٠، والثانوية المهنية مستمرة في عملها بتصنيع المزيد من المقاعد إلا أن هذا مرتبط بوفرة المواد الخامية، وأهمها عقود تأمين الخشب التي لا دخل للمديرية به، وما بين الحاجة الفعلية وما هو مؤمّن هناك مشكلة، ولكنها ليست كبيرة، وفي طريقها إلى الحل.

نقص في الكتاب المدرسي

وحول مشكلة نقص الكتب المدرسية وعدم وفرتها بالكامل، أشار مدير التربية إلى توزيع كل ما هو متوفر لدى فرع الكتب المدرسية، وما تزال مشكلة النقص قائمة، وهذا النقص لا تتحمله المديرية لعدم تبعية الفرع لها، وبالتالي فإن المشكلة لدى الكتب المدرسية، وهذه المشكلة متمثلة بنقص بنقص آليات التوزيع، وبوفرة الكتب المطلوبة ذاتها، ومؤخرا وردنا كتاب من وزارة التربية للاستفسار عن سبب نقص تلك الكتب وتحديد الجهة المسؤولة عن ذلك، وما هي أسبابه؟ وكان الرد بأن التأخير يعود لفرع الكتب المدرسية في المحافظة وليس للمديرية التي قامت بوضع الوزارة بالصورة الحقيقية لهذا النقص الذي ما زلنا نعاني منه. واستغرب مدير التربية ما صرحت به الكتب المدرسية في المحافظة بأن نسبة التوزيع بلغت ٩٥٪، وهذا الرقم مبالغ به جداً ما لم يكن يقصد فرع الكتب المدرسية بأنها وزعت ما هو متوفر لديها، وهذا يعني أنها لم تقم بمراسلة الجهات المعنية التابعة لها لتزويدها بالكتب الناقصة، ما يعني أنها ربما قامت بتوزيع ٩٥٪ من الكتب، ولكن هذه النسبة تعود إلى ما هو موجود لدى فرع الكتب المدرسية، وليس إلى ما هو مطلوب تأمينه من قبلها، وعمليا لا تزال مشكلة نقص الكتب قائمة وأهمها في مجمّع التبني على الخط الغربي، وإذا كانت الذريعة متمثلة بعدم وفرة آليات التوزيع لدى فرع كتب المدرسية فإننا مستعدون لتأمين الآليات المطلوبة عبر اللجوء إلى المجتمعات المحلية في المجمعات التربوية التي اعلنت مشكلة نقص الكتب.

.. ونقص في الآليات أيضاً

أشار مدير تربية دير الزور إلى معاناة المديرية من النقص الشديد في إعداد الآليات المتوفرة وأهمها الميكروباص استيعاب ١٤ أو ٣٥ راكباً، حيث تساهم هذه الآليات بزيادة عدد الجولات يما لها من أثر مباشر في معرفة تفاصيل المجمعات التربوية ومدارس الريف ومع ذلك، فإن التوجيهات الوزارية التي وردتنا تفيد بالتوجه نحو المجتمع المحلي لتجاوز مشكلة نقص الاليات. وبالفعل توجهنا نحو المجتمع المحلي الذي وعدنا بتأمين باص خاص للمديرية وبالطبع فإن وجود باص واحد لا يفي بالغرض بشكل كامل مع التذكير بأن السيد محافظ دير الزور خصّص مؤخرا باصي نقل داخلي نحو الارياف، ما ساهم في تخفيف عبء تنقلات الكوادر التدريسية، وحاليا راسلنا الوزارة لتخصيص مبلغ مناسب لبند الاصلاح في موازنة المديرية، نظراً للوضع الفني للآليات المتوافرة لدينا، وعددها ٤٥ آلية، تعاني من أعطال كاملة أو صيانة ضرورية مع الإشارة إلى ما قامت به وزارة التربية منذ أيام بتخصيص المديرية بـ "بيك اب" واحد على أمل الحصول على الحد الأدنى المطلوب، وإصلاح ما هو معطل حالياً، لأن الحاجة الدنيا لا تقل عن ٤ باصات استيعاب ١٤ أو ٣٥ راكبا، ومعاناتنا من نقص الآليات لن تكون سببا لتقاعسنا في أداء مهامنا على كافة خطوط المجمعات التربوية المتوزعة جغرافيا في ريف المحافظة الغربي والشرقي.

فشل ونجاح امتحانات دير الزور

وفيما يخص امتحانات دير الزور الأخيرة، وما شابَها من إشارات استفهام كثيرة، أكّد الفريح أنه راضٍ بنسبة عالية على امتحان الدورة التكميلية الأخيرة للشهادة الثانوية بكافة فروعها، مضيفاً أنه إذا كان خلل ما أصاب العملية الامتحانية فإن المسؤولية الكاملة تقع على عاتق المديرية حكماً، وعملياً المديرية قادرة تماماً على ضبط الامتحانات، غير أنه لدى مراقبتنا للامتحانات فوجئنا بتقصير مؤسف في أداء بعض رؤساء المراكز وأمناء السر، وهذا التقصير حدا بنا إلى توزيع طلبة أحد المراكز باتجاه مراكز امتحانية أخرى لتكون وتيرة الامتحانات في سياقها الطبيعي.

وعن خطوة إقامة مركز امتحاني للشهادة الإعدادية في مدينة الميادين، والتي تحدث لأول مرة منذ عشرة أعوام يقول مدير التربية بأن التجربة كانت ناجحة، وستحفزنا لتكرار وتوسيع التجربة في الامتحانات القادمة بعدما تمت معرفة مواقع الخلل الامتحاني والذي سيؤدي بنا إلى تداركها والسعي بكل جدية لإنجاح الامتحانات القادمة.

حرمان وظيفي على خلفية التقصير

أما قرار رئاسة مجلس الوزراء القاضي بكف يد ١٧ مدرسا وحرمانهم من الوظيفة على خلفية خلل في أداء الامتحان لـ ١٥ منهم، أشار الفريح بأنه لم يكن يأمل القفز فوراً إلى الحرمان الوظيفي. ومع ذلك، فإن القرار صدر من رئاسة الوزراء؛ ودورنا كإدارة محصور باستقبال التظلم الذي وردنا من المتضررين بهذا القرار ورفع التظلم باتجاه الوزارة، وهو دورنا من الناحية القانونية. أما النظر في التظلم، أو امكانية إلغاء قرار كف اليد، فهذا ليس من صلاحياتنا. عملياً كنا نأمل أن يتم اتخاذ الإجراءات القانونية المتتالية بما فيها تحقيقات أصولية وتشكيل لجان تقصّ، واتخاذ إجراءات فورية تعتمد وقتها على وجود لجنة مؤلفة من رئيس دائرة الامتحانات وتربية دير الزور واللجنة الوزارية آنذاك، وتحديد التقصير على خلفية تحقيق دقيق، ولكن كل هذه الإجراءات لم تمر علينا كمديرية يفترض أن يكون لها يد في الإجراءات المتبعة. ونحن حين وردتنا بعض المعلومات عن حالات تقصير تسبب بها هذا، أو ذاك، قمنا باعفائه من مهامه الامتحانية على الفور، وهو الإجراء القانوني الأول والذي يهدف لإنجاح الامتحان.

قرار لتغيير رؤساء دوائر مع وقف التنفيذ

وفي ما يخص القرار الذي تم ايقاف تنفيذه، والخاص بتبديل "كافة رؤساء الدوائر" في المديرية، أشار الفريح بأن القرار صدر وبتوقيع الوزير على مواقع التواصل الاجتماعي فقط، وباشر المعفيون بتنفيذه على أنه صدر وزارياً وبشكل قانوني، ولكننا كمديرية لم يردنا أي قرار يقضي بإعفاء رؤساء الدوائر من مهامهم. وعمليا قمت بالاجتماع مع السيد الوزير خلال هذه المدة، وأشرت لسيادته الى أهمية استبدال بعض المفاصل بما يصب في مصلحة العمل، وبأن الأسرة التربوية الحالية تعمل كأسرة واحدة وهي جادة من أجل نجاح العمل التربوي، وإذا كان الأمر يتطلب التغيير فهذا لا يعني كافة المفاصل الإدارية. ولغاية اليوم، لم يرد أي قرار من السيد الوزير يقضي بتغيير كافة المدراء المركزيين، وربما سيصدر قريباً، وحينها سنقوم بالتنفيذ، وربما لن يصدر وبالتالي سيبقى الوضع على ما هو عليه.

الحرائق الأخيرة تعود بشريط الذاكرة للعام الماضي
«الزراعة»: استنفار وتأهب مستمران

"البعث الأسبوعية"
ـ ميس بركات

بعد ليال طويلة لم يعرف فيها النوم طريقاً إلى أجفان أهالي المناطق الجبلية العام الماضي. ليال قُلبت بها جميع الموازين ليُصبح النور مرافقاً لعتمتها ساعات وأيام بسلسلة من الحرائق بدأت ولم تُعرف لها نهاية إلّا بعد جهود جهيدة وعناية إلهية وضعت حداً لها بعد أن يتّمت عشرات الفلاحين من أراضيهم والتهمت رزقهم لسنوات قادمة ليست بالقليلة، وبين فعل فاعلين إرهابيين وإهمال الفلاحين، كانت خسائر الثروة الحراجية العام الماضي كبيرة تناسبت طرداً مع الجهود والخطط التي وضعت وبُذلت لتجنب الوقوع في نفس المصيدة هذا العام.

ومن مبدأ "المحروق من الحليب بينفخ عاللّبن"، خرجت وزارة الزراعة بخطة وطنية شاملة وإستراتيجية حقيقية لتنظيم مكافحة حرائق الغابات انطلاقاً من الوقاية والمراقبة اليومية والداعمة والمستمرة بهدف استباق خطر الحريق، وتندرج هذه الخطة ضمن الخطة الوطنية للنهوض بالقطاع الحراجي وينبثق عنها خطط لمكافحة حرائق الغابات على مستوى كل محافظة، الأمر الذي لمسنا نتائجه بشكل كبير بانخفاض عدد الحرائق هذا العام بشكل واضح مقارنة بالأعوام الماضية، لتأتي مساعي وخطط الوزارة أُكلها ولو بعد حين، خاصة وأن المساحة الإجمالية للحراج في سورية ليست بالقليلة إذ تصل لحوالي ٥٢٨ ألف هكتار منها ٢٣٢ ألف هكتار حراج طبيعية وحوالي ٢٩٦ ألف هكتار حراج اصطناعية.



إجراءات مخفّفة

مديرية الحراج في وزارة الزراعة لم تُخف تعرض الحراج في سورية لخسائر كبيرة نتيجة الحرائق المتكررة في العديد من المحافظات، حيث بلغ إجمالي عدد الحرائق الحراجية، خلال عام ٢٠٢٠، ما يزيد عن ٦٢١ حريقا، وبلغ إجمالي المساحات المحروقة ٣١, ١٣٢٧٧هكتاراز وتفادياً لتكرار ما حدث في العام الماضي، اتخذت المديرية مجموعة من الإجراءات التي كان لها الدور الكبير في التخفيف من عدد الحرائق الحراجية، ومن مساحة وانتشار هذه الحرائق، لينخفض عدد الحرائق الحراجية إلى ٣٣٢ حريقا منذ بداية العام ٢٠٢١ وحتى تاريخ ٤ تشرين الأول الجاري، كما بلغ إجمالي المساحات المحروقة ٠٥٥, ٨٤٤٣ هكتارا. وعلى الرغم من جميع الخطط والاحتياطات الموضوعة إلّا أن نيران الحرائق عادت لتشتعل خلال الأيام الماضية في محافظة اللاذقية باندلاع تسعة حرائق، وساهمت انفجارات ناجمة عن ألغام وعبوات ناسفة من مخلفات المجموعات الإرهابية التي كانت تسيطر على بعض الغابات قبل تحريرها بزيادة التهام الغابات وامتداد رقعتها، لتعود بشريط ذاكرة الأهالي إلى العام الماضي، والخوف من تكرار المشهد والسيناريو ذاته، لاسيّما وأن المكان والتوقيت ذاته، ليؤكد علي ثابت، مدير مديرية الحراج في وزارة الزراعة، استنفار واستعداد وتأهب الوزارة لجميع الطوارئ التي حصلت وستحصل مستقبلاً وسيطرة فرق الإطفاء على الحرائق خلال ساعات رغم الصعوبات الجمّة التي قابلت عملهم.

أعمال شقّ

وبالعودة إلى الخطة الاستباقية الشاملة والتعاون مع الهيئات والوزارات ذات الصلّة بكوارث حرائق الغابات، تحدّث ثابت عن الخطوة الأولى والأهم التي تمت بتشكيل منصة لحرائق الغابات بالتعاون مع الهيئة العامة للاستشعار عن بعد، بهدف تحديد المناطق ذات الحساسية المرتفعة للحرائق من خلال حساب مؤشر خطورة الحريق على الصور الفضائية، وبالتالي استنفار جميع الإمكانيات باتجاه هذه المناطق، ما يوفر سرعة التدخل والسيطرة الكاملة على الحريق؛ كما نُفذت أعمال شق وترميم وتعزيل للطرق الحراجية وخطوط النار واستصلاح وأعمال تربية وتنمية من بداية العام الحالي حتى نهاية الشهر التاسع، إضافة إلى تنفيذ أعمال شق طرق حراجية وخطوط النار القديمة بطول قدره ٩٢٤, ٢٠٥ كم، وتم العمل على خطة ترميم وتعزيل الطرق الحراجية وخطوط النار القديمة (٩٧٥, ٢٥٣٨ كم)، إضافة إلى شق طرق تخديمية (٧٥, ٨ كم)، وترميم طرق تخديمية (٢٠ كم)، واستصلاح مساحة ٢, ٥٤ هكتار لزراعتها بالأشجار الحراجية.

تحريج المواقع المحروقة

أما فيما يخص رصد المساحات المعتدى عليها بالاستثمار غير الحراجي، فقد بلغ عدد قرارات نزع اليد ١٧٦ قرارا، خلال عام ٢٠٢٠، بمساحة إجمالية قدرها ٢٦٨٥٤١ م٢، حسب ما أكده مدير الحراج، إضافة لوصول عدد قرارات نزع اليد لعام ٢٠٢١ حتى اليوم إلى ١٤٧ قراراً بمساحة إجمالية ٣٢٦٩٩٤٥ م٢.

وأشار ثابت إلى عمل الوزارة على وضع خطة فورية لتحريج المواقع المحروقة والمتدهورة، حيث بلغ إجمالي خطة إنتاج الغراس الحراجية لهذا الموسم حوالي ٤ مليون و٥٠٠ ألف غرسة، وتحسين الغطاء النباتي من خلال حماية المواقع المحروقة وإزالة الأشجار الصنوبرية المحروقة، بحسب خصوصية كل موقع، ودراسة طريقة التدخل المناسبة، واختيار الأنواع الملائمة لظروف المنطقة، إضافة إلى رفع الجاهزية التامة لكافة الآليات ومراكز الحماية وعمال الإطفاء وفرق التربية والتنمية وتكثيف جولات الفنيين على القرى الحراجية والمجتمع المحلي والعمل على نشر الوعي البيئي وتقسيم المنطقة التي تعرضت للحريق إلى مقاسم ووضع برنامج زمني يحدد ساعات العمل ومنطقة التجوال في كل مقسم. وخلال العام الحالي، تم التعميم بموجب الكتاب رقم ١٥٣٨ / ح ٥، تاريخ ١٦/ ٩/ ٢٠٢١، بوقف منح رخص نقل الحاصلات الحراجية والمثمرة والأخشاب والأحطاب بين المحافظات لمدة شهرين.

إهمال وصعوبات

ولم يُخف مدراء الحراج في المحافظات أهمية الخطط الموضوعة من قبل الوزارة لدرء وتخفيف الوقوعٍ في فخ الأعوام الماضية، خاصّة وأن العام الماضي كان استثنائيا بحرائقه نتيجة الأعمال الإرهابية، حيث أكد مدين علي مدير الحراج في مصياف أن عدد الحرائق هذا العام لم يتجاوز ٢١٠ حرائق، موزعة بين حراجي وزراعي، لافتاً إلى أهمية الخطط التي تم وضعها من قبل وزارة الزراعة على مدى العام لتلافي الوقوع في لهيب حرائق الغابات الذي شهدناه العام الماضي، والتي كان أغلبها بفعل أعمال إرهابية؛ أما حرائق العام الحالي فكانت نتيجة إهمال الفلاحين وترك أعقاب السجائر على جوانب الطرقات وحرق مكبات القمامة، إضافة إلى الحرائق الكثيرة الناتجة عن حرق مخلفات أراضي الفلاحين وفقدانهم السيطرة عليها.

وأكد علي الاستفادة من التجارب السابقة والدور الكبير لمنصّة الحرائق في توجيههم إلى الأماكن الأكثر خطورة، ناهيك عن تعيينهم عناصر موسميين وتوزيعهم على مجموعات عمل ضمن المناطق الخطرة، إضافة إلى تزويد المنطقة بـ ٨ صهاريج موزعة في المناطق الأكثر حساسية مع فرق مجهزة للإطفاء والتي شاركت بإخماد تلك الحرائق القليلة بكمّها، لكنها أدت في النهاية إلى خسائر في الثروة الحراجية. ولم يختلف الحال في محافظتي طرطوس واللاذقية عن باقي المحافظات، حيث وصل عدد الحرائق في طرطوس هذا العام إلى ٤٤٠ حريقا زراعيا وحراجيا بخسائر تجاوزت الـ ١٠٠ مليون ليرة سورية ناجمة عن فقدان أشجار حراجية، لافتاً إلى الصعوبات الكبيرة التي تعاني منها فرق الإطفاء والمتمثلة بالطبيعة الجغرافية الجبلية الوعرة لأغلب مناطق اندلاع الحرائق الأمر الذي يتطلب جهدا ووقتا أكبر، وعملت المديرية خلال العام على حشد الطاقات المتوفرة في المحافظة لمكافحة الحرائق الحاصلة، كما تم توزيع الصهاريج العاملة على مختلف مواقع المحافظة التي تعتبر ذات حساسية مرتفعة للحرائق.

أما حرائق محافظة اللاذقية، فقد وصل عددها – بحسب باسم دوبا مدير حراج اللاذقية – إلى ٤٩ حريقا حراجيا بمساحة ١٢٣,٢٥ دونما، و٥٦٢ حريقا زراعيا بمساحة ١٨٩٥ دونما زراعيا، باستثناء الحرائق التي نتج عنها تضرر أراض وغابة صنوبرية على مساحة ١٥٠ دونماً في قرية رويسة حبيب، بالإضافة إلى تضرر ٢٠٠ دونم من الغابة الصنوبرية في قرية بيت زنتوت.

وفيما يخص الحلول المقترحة للحد من حدوث الحرائق، فقد اختصرها دوبا بضرورة تنظيف جوانب الطرقات العامة والفرعية وتعزيلها من الأعشاب وترميم خطوط النار مع رفع جاهزية كافة مراكز الحماية وأبراج المراقبة، كذلك صيانة الآليات والاطفائيات والصهاريج العامة وزيادة عدد مناهل المياه، إضافة لتعيين عمال إطفاء حرائق دائمين ومؤقتين وموسميين والعمل على تأمين كافة مستلزمات المطلوبة، مع زيادة عدد مراكز الحماية وأبراج المراقبة واعداد خطة حرائق موحدة لجميع المحافظات.

قرارات استثنائية

وبالنظر إلى الحرائق التي تمت خلال الأعوام الأخيرة، يُجمع أهل الخبرة على أن أغلبها كان حرائق ناتجة عن التحريق الزراعي لبقايا المخلفات الزراعية وامتداد النيران إلى الأراضي الحراجية؛ وعليه، تم عقد عدة اجتماعات وإصدار القرار رقم ٤٠/ م و، تاريخ ٣/ ٥/ ٢٠٢١، من رئاسة مجلس الوزراء، وتشكيل لجان محلية لكل وحدة إدارية لمراقبة كافة الأراضي الزراعية وإحالة المخالفين إلى القضاء، كما تم تحفيز الأهالي لمساعدة طواقم الإطفاء والتنسيق مع (قيادة الشرطة – مديرية الزراعة – الدفاع المدني – فوج الإطفاء) لتأمين وصول فرقها وتأدية مهامها وحمايتها أثناء القيام بواجبها؛ كما نجمت بعض الحرائق عن اشتعال النار في مكبات القمامة وانتقالها إلى الأراضي الزراعية والحراجية المجاورة لذلك تم الطلب من جميع مديريات الزراعة في المحافظات بموافاة الوزارة بالشروط الفنية لمكبات القمامة الموجودة والقريبة من المواقع الحراجية، وجرى التنسيق مع وزارة الكهرباء ووزارة النقل بخصوص الحرائق الناجمة عن حدوث ماس كهربائي وتسببها باشتعال النار في الأراضي الزراعية والحراجية، كما اشتعلت بعض الحرائق نتيجة إطلاق القذائف من قبل الجماعات الإرهابية المسلحة، ناهيك عن الحرائق التي كانت بقصد الانتقام من عناصر الضابطة الحراجية نتيجة قيامهم بواجبهم.

ارتفاع نسبة أقساط المدارس الخاصة ٣٠٠٪
الأهالي يستنكرون و«التربية» تبرر..!

"البعث الأسبوعية" ـ نور قاسم

لم يكن أحد يتوقع هذا الارتفاع غير المسبوق لأقساط المدارس الخاصة، ولا سيما بعد أن تضاعفت نسبة الارتفاع في عدد منها بمعدل ٣٠٠٪، إذ أن قسط بعض المدارس تجاوز المليون ليرة بعد أن كان ٤٠٠ ألف ليرة العام الماضي، وبعضها الآخر وصل إلى المليوني ليرة بعد أن كان ٦٠٠ ألف. وهكذا دواليك!

أسباب ومسببات

رغم ما يفترض أن تقدمه هذه المدارس من أنشطة تعليمية وترفيهية، بالتوازي مع خدمات فندقية، إلا أن أولياء الأمور اعتبروا أن هذا الارتفاع غير المسبوق غير مبرر، إذ كانوا يتوقعون أن تكون نسبة الارتفاع بحدود الـ ٥٠٪ بالحد الأعلى، وأشار بعض ممن التقيناهم إلى أن سبب إصرارهم على تسجيل أبنائهم في هذه المدارس - دون الحكومية المجانية - يعود إلى تدني المستوى التدريسي في العديد من الأخيرة، نتيجة قلة الكوادر التدريسية. وأكد بعض الأهالي أنه في السنوات الفائتة عانى أبناؤهم من عدم وجود مدرِّس لأهم المواد مثل اللغة الانكليزية والفيزياء والرياضيات، فضلاً عن أن احتمال المشاجرات بين الطلبة في الباحة أثناء فترة الاستراحة، بسبب تغيّب الأستاذ في بعض الأوقات عن مراقبتهم، في حين أن الأستاذ في المدارس الخاصة ملزم بمراقبة الطلاب أثناء هذه الفترة، ولا يسمَح له بالتغيب عنهم حتى لدقائق.

ميزة

أما السبب الآخر الذي يدفع الأهالي للإقبال على المدارس الخاصة فهو ميزة الأعداد القليلة في الحصة الدرسية، إذ يصل معدّل الأعداد إلى العشرين طالباً في الصف الواحد، بينما في المدارس العامة حدِّث ولا حرج، فقد يصل عددهم إلى أكثر من خمسين طالباً؛ وأيضاً من العوامل المشجعة لأولياء الأمور في ترجيح كفة المدارس الخاصة على العامة هي النظافة والتعقيم الدائم للحمامات خصوصاً، والمدرسة عموماً، ناهيكم عن تقديم العناية الصحية للطلاب!

ثلاثة أجزاء..!

التعديل الأخير لأسعار أقساط المدارس الخاصة شمل المؤسسات التعليمية الخاصة التي لم تزد أقساطها للعام الدراسي ٢٠٢٠ - ٢٠٢١، ولا يزال قسطها دون خمسمئة ألف ليرة سورية، إلا وفق الحد الأعلى، وذلك حسب تعميم وزارة التربية الذي بين أن نسبة الزيادة للشريحة الأولى والمتضمنة القسط من ٥٠ ألفاً وحتى ١٥٠ ألف ليرة سورية هي ٥٠٪. أما بالنسبة للشريحة الثانية وقسطها من ١٥١ ألفاً حتى ٢٥٠ ألف ليرة فنسبة الزيادة ٣٥٪، بينما نسبة الزيادة للشريحة الثالثة وقسطها من ٢٥١ ألفاً حتى ٥٠٠ ألف ليرة هي ٢٥٪، لكن الواقع مخالف تماماً وفقاً لما ذكرناه حول بلوغ أقساط بعض المدارس المليوني ليرة.!

مديرة التعليم الخاص في وزارة التربية، ثنية نويصر، بينت أن التعميم الذي صدر يُعنى فقط بالجزء التعليمي للقسط، وليس بباقي الأجزاء من الخدمات الإضافية المختلفة بين مدرسة وأُخرى، موضحة أن القسط يشمل ثلاثة أجزاء: "تعليمي وخدمات وأجور نقل"، وأن الجزء الوحيد الذي تُعنى به وزارة التربية هو القسط التعليمي، مؤكدة أنه لا يحق لأية مدرسة زيادة أجور القسط التعليمي الذي لا يتجاوز الخمسمائة ألف ليرة، إلا بعد موافقة وزارة التربية، أما باقي الأقساط فهي تزداد حسب الواقع الحالي للأسعار المرتفعة في كل شيء، من محروقات وغيرها، إضافة إلى زيادة رواتب المدرّسين؛ وبالتالي فإن كل ما يطرأ من تغيير على الأسعار سينعكس بدوره على تعديل الأقساط، لافتة إلى وجود حد أدنى أو أعلى للأقساط، فكل مدرسة لها قسطها الخاص بها.!

إثرائية ولكن..!.

ولا شك أن المدارس الخاصة لا يمكن وضعها في ذات الدرجة، فهي مقسّمة إلى فئات، بعضها أنموذجي والآخر متوسط وصولاً إلى الدرجة الأخيرة التي تعتمد فقط على تأمين البناء والالتزام بعدد الطلاب، وإضافة منهاجي اللغة الانكليزية والفرنسية الموجود في كافة المدارس الخاصة، وبعض الخدمات الإضافية الأخرى، أما المدارس الخاصة ذات الأقساط الباهظة الثمن فالمنهاج الإضافي عبارة عن مادتي الرياضيات والعلوم باللغة الانكليزية، وتسمى بالكتب الإثرائية، ولديهم خدمات وأنشطة عديدة، مثل تأمين اللباس المدرسي والوجبة الغذائية والرحلات الترفيهية، ووسائط النقل المؤمنة للطلبة؛ ولكن بعض المدارس يستغل عدم وجود التصنيف بشكل فعلي لرفع السعر، وبعضها الآخر يقطع وعدا للأهالي بتوفر نشاط الحساب الذهني، وينتهي العام الدراسي دون أن تفي بهذا الوعد وتحميلها على القسط مقابل هذه الخدمة!

غير ضرورية

مديرة إحدى المدارس الخاصة بينت أن بعض المدارس الأنموذجية ذات الأقساط العالية لديها خدمات إضافية تعتبر ترفيهية وغير ضرورية، مثل السباحة؛ وبالتالي، عندما يأتي بعض الأهالي لتسجيل أبنائهم في المدارس الأنموذجية، فأول سؤال يوجه إلى الإدارة: ما هي الأنشطة الترفيهية المتوفرة؟ هل لديكم مسابح أو خيل مثلاً؟، مؤكدة إلى أن نسبة قليلة من أولياء الأمور يستفسرون عن الخدمات التعليمية أو المناهج أو الكادر التعليمي، ما أدى بهذه المدارس للتباري فيما بينها بتوفير هذه الأمور، وتطلب من الأهالي مبالغ كبيرة لقائها، مشيرةً إلى أن المناهج الإثرائية في بعض المدارس تستخدمها كمبرر لطلب مبالغ إضافية من الأهالي بمعزل عن القسط المحدد، لأنه كلما أُضيفت مادة درسية يتم الزيادة والإضافة عليها مالياً.!

وأشارت المديرة إلى أن أهم سبب لارتفاع الأقساط إجمالاً هو ارتفاع أسعار كافة المتطلبات الضرورية على المدارس، وارتفاع رواتب العاملين في المدرسة بنسبة ١٥٠٪ تماشياً مع الوضع الاقتصادي الراهن، إضافة إلى المناهج الإثرائية، وتأمين الكتب وأوراق العمل والقرطاسية ومستلزمات الطباعة من المحابر والمواعين وغيرها، وتأمين المحروقات لوسائط النقل المخصصة الباهظة جداً.!

لا تصنيف حتى الآن

بدورها، بينت مديرة التعليم الخاص في وزارة التربية أن الوزارة ليس لديها تصنيف معتمد للمدارس الخاصة لغاية الآن، وهي بصدد التحضير لتصنيف المؤسسات التعليمية الخاصة من خلال ما تقدمه من خدمات ومخرجات تعليمية، وما توفره للمنشأة من خدمات مميزة، كالتدفئة المركزية على سبيل المثال، وتأمينها لوسائط النقل، ومن خلال ما تحتويه من كادر إداري وتعليمي، لافتةً إلى أن التصنيف يمكن وصوله إلى خمسة درجات، مشيرة إلى تكليف كافة مدراء التربية بجميع المحافظات لوضع لجان تتحقق من الخدمات في كل مدرسة خاصة.

وأشارت نويصر إلى أنه عند الانتهاء من خطوة التصنيف ستليها مباشرةً مرحلة دراسة الأقساط اللازمة لكل مدرسة بصورة حقيقية لتصبح تكاليف المدارس الخاصة محددة، مبينةً أن الدراسة من المفترض البدء بها خلال شهري نيسان وأيار من العام المقبل، ليُصار إلى تصنيف وتحديد أسعارها اعتباراً من الموسم الدراسي القادم.

ارتفاع طبيعي..!

واعتبرت نويصر أنه غير مستغرَب – لا بل من الطبيعي - طلب بعض المدارس مبالغ تتجاوز المليونين ونصف مقابل الخدمات الإضافية التي تقدمها للطلاب، مشيرةً إلى أن الأهالي غير ملزمين بالتسجيل فيها، فالمدارس الحكومية مفتوحة لاستقبال الجميع، لافتة إلى أنه ومنذ البدء العام الدراسي وردت الكثير من الشكاوى حول ارتفاع الأقساط، مستنكرة، بالتالي، استغراب الأهالي في ظل ارتفاع الأسعار التي طالت كل شيء في ظل الوضع الاقتصادي الحالي، مؤكدة أنه يتم التحقق من الشكاوى الواردة من قبل لجان مختصة بوزارة التربية، وفي حال ملاحظة أن السعر المفروض من قبلِ المؤسسة التعليمية الخاصة مجحف وغير متوازن مع الخدمات المقدمة، سيتم معاقبة المدرسة والتعويض للأهالي برد القسط إليهم.

ضرائب

وفي الوقت الذي بينت فيه مديرة التعليم الخاص أن وزارة المالية تحمِّل المدارس الخاصة ضرائب على الأرباح، فتضطر المدارس الخاصة إلى تحميل قيمة هذه الضرائب على الأقساط، اعتبرت مديرة إحدى المدارس الخاصة أن الضرائب بمنزلة "المشاركة بالأرباح"، ليوضح مدير عام هيئة الضرائب والرسوم، منذر ونوس، أن المدارس الخاصة كأي منشأة أخرى يحق للدولة فرض الضرائب عليها، مؤكداً أن الضرائب المفروضة على المؤسسات التعليمية الخاصة تُحصّل من الأرباح الصافية والمحققة، وليس من قيمة أقساطها، وذلك تبعاً للسلم الضريبي الذي يبدأ من ١٠٪، ويصل إلى ٢٨٪ للأرباح التي تتجاوز ٣ مليون ليرة، وفي حال كانت الشركة محدودة المسؤولية حينها تفرض ضريبة بنسبة ٢٢٪.

ولفت ونوس إلى أن كل مدرسة خاصة ترسل إلى مديرية الضرائب الإيرادات المحققة والمصاريف التي أُنفقت من هذه الإيرادات، وتقوم لجنة من الوزارة بالتدقيق على هذه البيانات، مشيراً إلى أن وزارة المالية متعاونة ومرنة مع المنشآت التعليمية الخاصة، وأن غالبية المدارس قدمت طلب تعديل للسنة المالية لتصبح أكثر ملاءمة مع موسمية عملها التي تبدأ من ١ أيلول وتنتهي في ٣٠ آب من السنة الجديدة، وتمت الموافقة على تعديل السنة المالية الخاصة بها.

مطالبة

أمام هذا الواقع يطالب جميع الأهالي بضرورة تحسين أوضاع وظروف عمل المدارس العامة التي تراجعت خلال الأعوام الفائتة، مدركين حجم ما تكبدته من خسائر خلال سنوات الأزمة، وسفر العديد من المدرسين إلى الخارج، وتفضيل المدرس للتدريس في المدرسة الخاصة على العامة نظراً لرواتبهم العالية بالمقارنة مع الأخيرة، ما أدى إلى شرخ كبير داخل العملية التعليمية.

باعتباره قطاع متداخل مع أغلب الوزارات.. أهمية إحداث وزارة متخصصة بالمشروعات الصغيرة والمتوسطة

"البعث الأسبوعية" ـ حسن النابلسي

في عصر بات الاقتصاد ورقة رابحة أكثر من ذي قبل، ومركز القوة لأية دولة تسعى لأن يكون لها كيان يُعتدُّ به على الساحة الدولية، يتحتم علينا ليس مواكبة كل مفرزاته وما تنتجه من رؤى واستراتيجيات فحسب، بل أن يكون لنا رؤانا واستراتيجياتنا الخاصة بنا بحيث تتناسب مع حيثيات اقتصادنا ومكوناته، بالتزامن مع الاستفادة من تجارب الغير وليس تطبيقها كما هي، لأن التجارب لا تستنسخ وإنما يستفاد منها، كلٌ حسب واقعه؛ ولعل المشروعات المتوسطة والصغيرة التي تعتبر أحد أهم مكونات الاقتصاد السوري تحتاج إلى رؤية جديدة لتفعيل ما هو موجود منها وتخصيب البيئة الاقتصادية الحالية ورفدها بمشروعات أخرى غير موجودة في الأصل، حيث يتم ضبط عمل المشروعات الحالية والمستقبلية بمنظومة اقتصادية ذات أهداف تكتيكية واستراتيجية، لكونها - أي المشروعات - بمنزلة خطوط إنتاجٍ صغيرة تؤدي إلى متوالية إنتاجية كبيرة يمكنها أن تلعب دوراً كبيراً في تنمية صادراتنا، وخاصة إذا ما علمنا أن ٩٠٪ من صادرات بعض الدول من نتاج المشروعات المتوسطة والصغيرة، بل إن بعض رؤساء العالم مطالب أمام البرلمان بتقديم تقرير عن أشكال الدعم التي قدمها لتلك المشروعات على اعتبار أنها توفر فرص عمل لا طاقة للدولة عليها.

دور تنظيمي

ولعل إحداث وزارة خاصة بالمشروعات المتوسطة والصغيرة من شأنه أن يعطي دفعاً كبيراً لما هو قائم منها حالياً، وأفكاراً لمشروعات جديدة، وذلك من خلال اضطلاع هذه الوزارة بدور التنظيم والتمويل، أي تستقبل الأفكار من المستثمرين الراغبين في الدخول إلى هذا المضمار وتؤمن لهم التمويل اللازم، أو أن تطرح هي الأفكار لكل من يرغب بالتمويل، وبذلك تقدم حلاً لمشكلة اقتصادية واجتماعية في آن معاً تتمثل بتكوين بنى إنتاجية حقيقية ترتكز على استثمار الميزات النسبية الموجودة في سورية وتسخيرها في مثل هذه المشروعات من جهة، وتؤمن فرص عمل من جهة ثانية.

ومن المبررات التي تستدعي إحداث وزارة خاصة بالمشروعات الصغيرة تداخل قطاع هذا النوع من المشروعات مع أغلب عمل الوزارات، لا بل كل الوزارات الاقتصادية "الصناعة والزراعة والمالية. إلخ، إضافة إلى بعض الوزارات ذات الشأن الخدمي كوزارة الإدارة المحلية والبيئة.

طبيعة البيئة

ويجمع العديد من أهل الكار الاقتصادي على أن أي فكرة جديدة - سواء أكانت اقتصادية أم غير اقتصادية - تنبع من طبيعة البيئة المولدة لها، ففي دولة ما على سبيل المثال قد يكون هناك حاجة ملحة لإنشاء وزارة للمهجرين، نظراً لارتفاع نسبتهم فيها، أي إن ظروف البلد تقتضي ذلك؛ وبناءً عليه، فإن خصوصية اقتصاد سورية، والحاجة الهائلة والتعطش الكبير للاستثمارات، تستوجب صب الاهتمام على موضوع الاستثمارات هذا، لكن الاقتصاد السوري ذو شرايين ضيقة وليست واسعة وكبيرة لتستوعب المشاريع الضخمة والهائلة، لذلك فإن المشروعات المتوسطة والصغيرة قادرة على الدخول في ثنايا قطاعاته الاقتصادية والنهوض بها، ما يعني أن الحاجة تستدعي أن يكون لدينا وزارة خاصة بالمشروعات المتوسطة والصغيرة، مع التركيز على أن يأتي إحداثها ضمن إصلاح مؤسساتي وزاري شامل تفادياً لأي ترهل إداري، وألا تكون مجرد كيان حكومي شكلي يزيد من الأعباء المالية والإدارية غير المجدية.

ترحيب

لدى عرضنا هذا الموضوع على بعض الجهات الحكومية التي رحبت بفكرة إحداث للمشروعات الصغيرة والمتوسطة، ركزت هذه الجهات على جانبين أساسيين في موضوع الاستثمارات، هما العرض والطلب، مشيرة إلى أنه لابد أن يكون عرض الوزارة المتخصصة لهذا النوع من المشروعات شفافاً ومقنعاً، إضافة إلى توصيف حقيقي لبيئة الاستثمار الموجودة في سورية وفي جميع القطاعات، إلى جانب دراسات الجدوى الاقتصادية المرافقة لها وأفق المشاريع الجديدة، فنجاحها يتوقف بالدرجة الأولى على دراسة العرض دراسة حقيقية ومتأنية، حتى تستطيع بنهاية المطاف إقناع جوانب الطلب على هذه المشاريع (الراغبين بالاستثمار في هذه المشاريع — المموّلين لها — المساهمين بإيجادها)، فتلاقي العرض مع الطلب هو سبيل نجاح هذه الوزارة، وخاصة أن ثمة فجوة كبيرة بين العرض والطلب، فغالباً ما يكون هناك عرض كبير للمشاريع مقابل طلب ضعيف، موضحة أن الوزارة يمكن أن تكون بمنزلة بنك للمعلومات يتوفر فيه أفكار لمشروعات جديدة تطرح هي بعضها، وتستقبل البعض الآخر، ومن ثم تقوم بتأمين التمويل اللازم لها، أي أن تكون صلة وصل بين المستثمر والمموّل.

كما أنه لابد أن تضع الوزارة خريطة استثمارية توضح الفرص الذهبية والفضية والبرونزية التي يمكن استثمارها حتى تستطيع النهوض بشكل فعلي بالاقتصاد الوطني من خلال المشروعات المتوسطة والصغيرة، وهذا من شأنه أن يجذب المدّخرات ويعيد توجيهها في قنوات استثمارية حقيقية تعود بالنفع على الجميع.

متحفظ ومتحمس

رغم تحفظ البعض على فكرة إحداث الوزارة لأنها ستكون مجرد كيان حكومي جديد سيقوم بدور منوط بكيانات أخرى، كما أن المشروعات المتوسطة والصغيرة هي مبادرات ذاتية لا تحتاج إلى من يحفزها بهذا الشكل، نجد أن البعض الآخر متحمس لضرورة إحداثها، بهدف تنظيم اقتصاد الظل القائم بكليته على مثل هذا النوع من المشروعات.

وحسب الدكتور علي الحسن فإن إحداث وزارة للمشروعات المتوسطة والصغيرة سيسلط الضوء على المشروعات العاملة في الظلام ويعيدها إلى المسار الاقتصادي السليم وبذلك تستعيد الدولة العوائد الضائعة عليها من هذا القطاع، وفي الوقت نفسه تراقب وتشرف على آلية سير عمله ما يضمن بالنتيجة طرح موادّ وسلع مطابقة للمواصفات.

وقال الحسن: إن وجود وزارة للمشروعات المتوسطة والصغيرة من شأنه أن يخفف الترهل الحاصل في مصارفنا العامة والخاصة التي تحوي آلاف المليارات القابعة في خزائنها، فالوزارة يمكن أن تكون القناة النافذة لهذه الأموال لاستثمارها في المشروعات المتوسطة والصغيرة، حيث تكون الضامن لمن يرغب بالاستثمار، أي تقوم بدور الوسيط بين المستثمر الصغير والمصارف.

وأضاف الحسن إن هناك عدداً كبيراً من المشروعات المتوسطة والكبيرة مشتتة ومتشعبة بين وزاراتنا التي تكتفي بالإشراف على المشاريع الكبيرة فقط وخاصة الحكومية منها، ما يحتم ضرورة وجود وزارة معنية بهذا الأمر وتقدم الدعم لها من خلال علاقاتها وارتباطاتها مع نظيراتها من الوزارات الأخرى.

استثمار في العقل

وبيّن الحسن أن التوجه الحالي في مجال المشروعات المتوسطة والصغيرة يعتمد على الاستثمار في العقل البشري وما يبدعه من أفكار جديدة غير تقليدية، عمادها الأساسي التفكير الناتج عن شريحة الشباب الصغار مثل مكاتب إنتاج المعلوماتية والبرامج الالكترونية كما هو حاصل في الهند التي تُحصّل من تصديرها من هذه المنتجات للولايات المتحدة الأمريكية عوائد تضاهي عوائد دولة نفطية، وبالتالي وجود جهة معنية بدعم المشروعات المتوسطة والصغيرة من شأنه أن يستنهض القوى العقلية لدى شبابنا ويشجعها على الإبداع في جميع المجالات.

قفزات نوعية

بالتوازي مع تأكيدات العديد من الاقتصاديين - إن لم نقل كلهم - أن هذا النوع من المشروعات هو عماد الاقتصاد الوطني كونه يشكل حلاً اقتصادياً واجتماعياً، نحن لا ندعي ابتكار هذا الطرح لأنه موجود في دول أخرى مثل ألمانيا وروسيا الجزائر ومصر والإمارات وغيرها من الدول التي حققت قفزات نوعية في هذا المجال، لكننا نسلط الضوء عليه ونُذكّر، عسى أن تنفع الذكرى، ولاسيما أن مساهمته بالناتج المحلي الإجمالي وصلت إلى ٦٠٪، وبلغت نسبة منتجاته من الصادرات غير النفطية ٩٨٪، فضلاً عن تشغيله ٧٥٪ من العمالة.



hasanla@yahoo.com

٣٠٠ يوم سطوع شمسي في العام وكمون كبير من الرياح الاستثمار في الطاقات المتجددة لا يجذب المستثمرين..!

«البعث الأسبوعية» ـ أحمد العمار

في وقت نشكو نقصا حادا من توافر الطاقة، وانقطاعا متكررا لتيار لا نكاد نرى شيئا من نوره، فإننا نعوم على بحر من كوامن الطاقات المتجددة النظيفة، التي ما زالت بعيدة عن أي استغلال حقيقي ومجد؛ فإذا توافرت الحاجة ومصادر الطاقة والتشريع الخاص بهذا النوع من الاستثمار، فلِمَ ما زال إنتاجنا من هذه الطاقات محدودا وغير مركز، اللهمَ من بعض الجهود المبعثرة هنا وهناك؟!

سطوع وفير..

تعد سورية من البلاد المشمسة، ووفقا لدراسات قام بها المركز الوطني لبحوث الطاقة بالتعاون مع جهات أخرى، تبين أن أيام السطوع تتجاوز ٣٠٠ يوم في العام، وأن معظم الجغرافية السورية تمتلك شدة إشعاع شمسي متقارب جداً، حيث يقدر وسطي كمية هذا الإشعاع على سطح أفقي بـ ٥ كيلواط ساعي على المتر المربع في اليوم، وهو رقم يدل على أن الاستفادة من الطاقة الشمسية سواء في تسخين المياه أم في توليد الكهرباء أمر مجد وذو مردود، فيما أثبتت الدراسات أن لدى البلاد كمونا نظريا من طاقة الرياح لأكثر من ٤٠ ألف ميغاو واط، وأنه من الناحية العملية يبلغ الكمون القابل للاستثمار في توليد الكهرباء حوالى ٨٠٠٠ ميغاواط، ما يعني إمكانية كبيرة للاستفادة من هذا الكمون مستقبلا، أما طاقة الكتلة الحيوية المتمثلة بالمخلفات الحيوانية والنباتية والآدمية فمتاحة أيضا بنسبة محددة، حيث أظهرت دراسة خاصة أجراها المركز، بالتعاون مع جامعة دمشق عام ٢٠١٠، بأن الكمون الطاقي الممكن استخراجه من هذه المخلفات، يبلغ حوالى ٢,٣ مليون طن مكافىء نفطي. أما الطاقة الكهرومائية، فمستفاد منها عمليا بنسبة كبيرة من خلال سد الفرات، ولكن لا تزال هناك إمكانية للاستفادة من الكمون المتاح على بقية السدود ومجاري الأنهار وقنوات نقل المياه بأنواعها المختلفة، حيث يقدر الكمون الإجمالي لهذه المصادر بحوالى ١٠٠ ميغا واط لا أكثر.

تنظيم القطاع..

ويؤكد المدير العام للمركز، الدكتور يونس علي، أن عملية تنظيم قطاع الطاقات المتجددة تحتاج عديد المحددات أبرزها تحديد المصادر المتوافرة في البلاد، والتي يمكن الاعتماد عليها بشكل رئيس في هذا التوجه، ووجود خارطة واضحة لاستثمارها، واستراتيجية وخطة واضحتين للاستفادة من هذه المصادر، وحوكمة القطاع، بحيث تكون الأطر القانونية والتنظيمية والمؤسساتية محددة وواضحة، مشيرا إلى أن البند الأول محقق، حيث حصرت الدراسات والبحوث والمسوحات التي أجراها المركز، خلال الفترة الواقعة بين عامي ٢٠٠٤ - ٢٠٠٩، المصادر الرئيسة المتاحة وأماكن وجودها، والتي تتمثل بالطاقات الشمسية والريحية والكتلة الحيوية، بالإضافة لكمون محدود جداً من الطاقة الكهرومائية.

ويضيف علي أنه، وبالنسبة للخطط الاستراتيجية، فإن أول خطة وطنية اعتمدتها الحكومة، كانت بناءً على مؤتمر الطاقة الذي عقد في ٢٠١٠، وتضمنت الوصول إلى مساهمة هذه الطاقات حتى ٢٠٣٠ بنسبة ١٠٪ من الطلب على الطاقة الأولية؛ وفي ٢٠١٩، أعيد النظر في هذه الخطة، واعتمدت أخرى أيضا حتى عام ٢٠٣٠، وتضمنت تركيب ٢٤٠٠ ميغاواط من المحطات الكهروشمسية والمزارع الريحية (١٥٠٠ من الشمسية و٩٠٠ من الريحية)، بالإضافة لتركيب ١,٢ مليون سخان شمسي منزلي، وكل الآليات والإجراءات المرتبطة بذلك.

عن الوفر والتكاليف..

ثمة وفر يحققه كل كيلواط ساعي منتج عبر الطاقات المتجددة قياسا بنظيرة التقليدي، لأنه يجنب إحراق كمية من الوقود الأحفوري (فيول، غاز)، بما يعادل حوالى ٢٥٠ غراما من الوقود المكافىء، وتتنوع تقنيات تحويل الطاقات إلى كهرباء بتنوع المصادر؛ فالطاقة الشمسية تحتاج إلى لواقط كهروضوئية مصنوعة من خلايا سليكونية مع خلائط من أنصاف النواقل، وهذه التقنية تعرف بالتقنية الفوتوفولطية، ولا يقل العمر الافتراضي لهذه الخلايا عن ٢٥ عاما، وقد شهدت هذه التقنية في السنوات الأخيرة تطورا كبيراً في مواصفاتها الفنية وانخفاضا في أسعارها، ما جعلها تنتشر حول العالم بشكل ملحوظ.

أما الطاقة الريحية، فتحتاج إلى تقنية المراوح، أو ما يعرف بالعنفات الريحية، حيث تقوم بتحويل الطاقة الحركية والكامنة للريح إلى طاقة ميكانيكية دورانية للعنفة تؤدي إلى انتاج طاقة كهربائية، علما بأن العمر الافتراضي لهذه العنفات حوالى ٢٩ عاما، وأسعارها تنخفض هي الأخرى، ولكن ليس بالوتيرة نفسها التي تنخفض بها نظيرتها تقنية اللواقط الكهروضوئية وعلى الرغم من أن التكاليف التأسيسية لمشاريع الطاقات المتجددة هي أعلى من تكاليف المشاريع التقليدية، إلا أنه بسبب عدم حاجة هذه المشاريع إلى وقود، فإن تكلفة إنتاج الكهرباء على مدى العمر الاستثماري هي أقل من تكلفتها التقليدية.

العزل الحراري..

بعيدا عن الاعتماد على هذه الطاقات، تبرز مسألة العزل الحراري للأبنية، كعامل توفير يسهم في تخفيض استهلاك حوامل الطاقة داخل هذه الأبنية صيفا وشتاء، حيث تبين الدراسات أن تطبيق العزل الحراري في المنزل يؤدي إلى تخفيض استهلاكه من الطاقة اللازمة للتدفئة والتكييف بنسبة لا تقل عن ٤٠ بالمئة، ما يشكل رقماً ملموساً في ميزان الطاقة المحلي، في حال تطبيقه في الأبنية الجديدة خلال المرحلة المقبلة، ويحتاج لتنفيذه تعاونا بين المركز ووزارة الكهرباء والجهات ذات الصلة، سيما نقابة المهندسين ووزارة الإدارة المحلية والبيئة وغيرها من الجهات ذات الصلة.

بيئة تشريعية..

خطت الحكومة خطوات مهمة - تشريعيا - باتجاه جذب استثمارات مهمة إلى هذا القطاع، حيث صدرت مجموعة من القوانين ذات الصلة، مع الحاجة طبعا لوجود تشريع واحد وشامل، يكون بمثابة المرجع والإطار التنظيمي لهذ القطاع، ومن هذه القوانين:

– القانون رقم ٣ لعام ٢٠٠٩، ويعرف بقانون الحفاظ على الطاقة، ويستهدف التوسع في استخدام المستهلكين لها.

– القانون رقم ٣٢ لعام ٢٠١٠، ويعرف بقانون الكهرباء، ويتضمن أحكاما ونصوصا تشجع القطاع الخاص على الاستثمار في هذا المجال.

– قانون الاستثمار، والمعدل مؤخراً بالقانون رقم ١٨ لعام ٢٠٢١، مع بعض المزايا والحوافز للمشاريع.

يُعول على وعي طاقي..

يعول المركز على زيادة الوعي الطاقي عبر نشر ثقافة الطاقات البديلة بين الناس، مع ما يرافقها من ترشيد، سيما ما يتعلق بأهمية هذه المشاريع على الصعيد اقتصاديا واجتماعيا، وبالتالي لا بد من أن تكون هناك حملات توعوية هادفة إلى تعزيز وتكريس هذه الثقافة، التي تعزز نشر مفاهيم التنمية المستدامة في مجال ترشيد الطاقة، واستخدام الطاقات المتجددة، والإضاءة على منعكساتها الاقتصادية والبيئية والاجتماعية، وإمكانية استخدامها في الأنشطة المختلفة للشرائح الاجتماعية كافة، وهو ما يجب أن يكون محل حملات إعلامية وتوعوية مؤثرة.

حول العالم..

مع زيادة الطلب على الطاقة حول العالم، والنقص الحاصل في المعروض منها، باتت الدول تتسابق على التوسع في هذه الصناعة، وهو ما نجحت به الصين، على نحو غير مسبوق، حتى وصلت حصتها السوقية عالميا إلى حوالي ٧٥ بالمئة، مقابل تراجع حصة الولايات المتحدة الأميركية من ٢٢ بالمئة قبل ٢٠ عاما، إلى واحد بالمئة؛ ووفقا لشبكة «بلومبيرغ»، فإن عدد المصانع المنتجة لتقنيات وأدوات الطاقات المتجددة، آخذ بازدياد بشكل ملحوظ، إذ وصل عددها حسب ترتيب الدول في هذه الصناعة على التوالي: الصين ٢٦١، الهند ٥١، تركيا ٢٥، الولايات المتحدة وتايون ١٦ لكل منهما، فيتنام ١٥، اليابان ١٤، ألمانيا ١٢، كوريا الجنوبية ثمانية مصانع.



ourنamar@yahoo.com

الرد على الشائعات يكون بتحفيز الاقتصاد وجذب الاستثمارات..

من يستهدف الصناعة السورية.. ولماذا؟

"البعث الأسبوعية" ـ علي عبود

ليس مستغربا نشر شائعات مدعمة بإحصائيات كاذبة عن هجرة واسعة للصناعيين السوريين إلى الخارج، في الوقت الذي بدأ العالم ينفتح فيه على سورية.

وبما ان الحرب الاقتصادية المعززة بالحصار والعقوبات لم تحقق أي مكاسب سياسية لأعداء سورية حسب توقعاتهم، فقد قرروا ضرب اقتصادها من الداخل فاستنفروا اقلامهم وإعلامهم المأجور لشن حملات التضليل ونشر الشائعات التي تستهدف الصناعة في سورية، والزعم بأن الصناعيين يهجرون وطنهم سورية بسبب الحصار والعقوبات وقلة فرص العمل والاستثمار!

صحيح إن عددا كبيرا من الصناعيين دمرت منشآتهم جزئيا أوكليا، وصحيح أن الصناعيين يعانون من نقص الطاقة والمستلزمات، ويحتاجون إلى المزيد من قرارات الدعم والتحفيز والتسهيلات، لكن الإحصائيات الصادرة عن اتحاد غرف الصناعة - وليس عن الحكومة فقط - تؤكد تطورا متسارعا لإعادة تأهيل المنشآت المتوقفة عن العمل، وتزايد بالآلاف للمنشآت الصناعية الجديدة في المدن والمناطق الصناعية، ويضاف إلى ذلك مبادرات للصناعيين بتنفيذ مشاريع للطاقات المتجددة تؤمن الكهرباء الدائمة لمعاملهم مع زيادة ساعات التغذية الكهربائية النظامية.

والملفت أن تبدأ الإشاعات التي تستهدف الصناعة السورية مع صدور قانون جديد للاستثمار، ومع قدوم شركات من دول صديقة وحليفة قررت تنفيذ مشاريع صناعية من ضمنها الطاقات البديلة!

وبما أن جميع الدول التي خرجت من الحروب شهدت نموا اقتصاديا سريعا وكبيرا، وفي كل القطاعات، وبخاصة المتعلق منها بتصنيع مستلزمات إعادة الإعمار، وما يتفرع عنها من خدمات، فهذا يعني أن سورية التي دخلت مرحلة النمو في حقبة ما بعد الحرب ستشهد استقطابا لاستثمارات من الخارج، لا هجرة لرؤوس أموالها وصناعييها إلى الخارج. واستنادا إلى هذه الحقيقة، نسأل: من يستهدف الصناعة السورية وصناعييها مع بدء حقبة النمو الاقتصادي القادمة بسرعة ولماذا؟

الرد على التهويل المشبوه!

وكما قلنا مرارا، فإن الصناعة السورية ليست في أحسن أحوالها، كذلك الصناعي يعاني الأمرين لتأمين الإستمرارية في الإقلاع والإنتاج؛ وهذا الواقع كان أساس الحملة المغرضة التي تستهدف الصناعة السورية، وهي حملة اعتمدت برأي رئيس غرفة صناعة حلب، المهندس فارس الشهابي، على أرقام وإحصائيات لاصلة لها بالواقع.

وفي حين يؤكد الشهابي أن "هناك تهويلاً كبيراً في أرقام هجرة الصناعيين واستغلالاً سيئاً ومشبوهاً لما يجري. وهناك من يستغلها لأسباب مشبوهة لتحريض الشارع الذي يعاني معيشياً وخدمياً"، إلا إنه يحذر أيضا من "أننا أمام مشكلة حقيقية وكارثية قادمة إذا لم نتدارك الأمر بسرعة، فاليوم الصناعي السوري يشعر بالضغط الكبير عليه من عدة عوامل ومسببات متراكمة ومتزامنة، وهو إن فكر بالهجرة، أو بدأ باستكشاف آفاقها، لا يريد أن يغادر البلد التي صمد به كل هذا الوقت".

وقد سبق وأكدنا منذ سنوات بأن الطريق بين الصناعيين والحكومة غير سالكة، وتحديدا خلال السنوات ٢٠١٨ - ٢٠٢٠، فلم تترجم الحكومة السابقة آنذاك الوعود التي قطعتها للصناعيين خلال اجتماعها بهم في مدينة حلب!

وبالتالي، بدلا من أن تنشغل الجهات الحكومية المعنية بنفي الإشاعات أو التشكيك بالأرقام المزعومة لعدد الصناعيين الذين هاجروا، فلتبدأ بتذليل الصعاب وإزالة العراقيل، وفي تطبيق مع ما تم إقراره من مقررات وتوصيات في المؤتمر الصناعي الأخير في حلب، عام ٢٠١٨، فسورية "رغم كل شيء تبقى أفضل مكان للاستثمار الصناعي".

نعم الجهود يجب ان تنصب على إغراء الصناعيين السوريين الذين أقاموا مشاريع في الخارج بالعودة إلى وطنهم، ولا يطالبهم أحد بتصفية مشاريعهم بالمهجر، بل بإقامة مشاريع جديدة لهم في سورية، أو بإعادة تأهيل منشآتهم التي دمرها الإرهاب كليا أوجزئيا!

وبما أن أبرز معوقات الصناعة هي حوامل الطاقة، فمن الضروري أن تنشغل الحكومة بحل هذه المشكلة فلا تنمية صناعية، ولا تشغيل للمعامل على مدار الساعة دون كهرباء ومازوت، وبالتالي يجب حل هذه المشكلة ريثما تدخل مشاريع الطاقة البديلة مرحلة الاستثمار.

إسأل من كان بها خبيرا

نعرف بأن العمل في التجارة والصناعة متداخل في سورية عكس الدول الأخرى، فالكثير من التجار يمارسون العمل الصناعي، وبخاصة في دمشق، وربما كانت حلب الاستثناء الوحيد، فالصناعي هناك لا يتعاطى التجارة إلا إذا تعلق الأمر بتسويق منتجاته وبالتالي، فإن الخبر اليقين حول صحة الشائعات من عدمها نجده لدى غرف الصناعة والتجارة تحديدا، فماذا يقول من كان بها خبيرا؟

عضو مجلس إدارة غرفة تجارة دمشق، ياسر أكريم، رأى "أن الحديث عن هجرة التجار والصناعيين عبارة عن دعايات قوية، لكن في الوقت نفسه القوانين الاقتصادية تساعد على الهجرة"؛ وبيّن بأن "هناك شائعات خارجية لتهويل هذا الموضوع لأن أعداء سورية بالمرصاد، وهذه الشائعات عبارة عن حرب اقتصادية وفي الوقت نفسه هناك هجرة لأن الوضع صعب حالياً".

قد تكون الهجرة سهلة للتاجر، فحساباته الدولارية بالأساس مودعة في المصارف الخارجية؛ وبالتالي يمكنه "التجريب" لفترة قد تطول أو تقصر، لكنه سيكتشف سريعا إن التجارة في سورية أسهل وأربح!

أما الصناعي فالأمر مختلف جذريا فمن هاجر في العقد الأخير، وبخاصة من حلب، كان لأسباب قاهرة لأن منشآته تدمرت وأصبح فجأة عاطلا عن العمل، والبعض هاجر إلى دول عربية كمصر والخليج، والبعض الآخر "هاجر" إلى محافظات داخلية كطرطوس واللاذقية، وأنشأ فيها صناعات صغيرة بانتظار العودة إلى حلب.

وفي هذا السياق، نفى عضو مكتب غرفة تجارة دمشق، عماد قباني، نفياً قاطعاً، كل ما يتم تداوله عبر وسائل التواصل الاجتماعي مؤخراً عن موضوع هجرة التجار والصناعيين إلى مصر، مؤكداً أنه "لم يسمع أن أحداً هاجر خلال الفترة الحالية، وخصوصاً أن هناك اجتماعات تعقد بيني وبين التجار والصناعيين على مدار الأسبوع".

وكشف أن هجرة الصناعي تعتبر جملة صعبة وليست سهلة، وإغلاق أو نقل مصنع لا يتم بسهولة، واليوم لم نسر في أي شارع، ونجد محلا تجاريا مغلقا.

وأوضح "أن جزءاً من التجار والصناعيين سافروا إلى خارج سورية عام ٢٠١٣، ونسبتهم لم تتجاوز ١٣ بالمئة"، و"الذين تضرروا بشكل كبير ودمرت معاملهم هم الذين سافروا حينها، وهؤلاء يتمنون العودة إلى سورية لكن الظروف الحالية صعبة من إعادة الإعمار وغيرها".

.. ما من منشأة أغلقت أبوابها

كما أن الصناعيين "أخبر" من غيرهم بالإشاعات الكاذبة، فهم أعرف من غيرهم بمن هاجر من زملائهم، ولأنهم كذلك فما من وسيلة إعلامية روجت لإشاعة هجرة الصناعيين السوريين نقلت على لسانهم، أو بالصوت والصورة، صحة الإحصائيات التي رددتها في الآونة الأخيرة!

وهاهو الصناعي عاطف طيفور ينفي ما تم تداوله حول موضوع الهجرة الجماعية للصناعيين والتجار المتداول بشكل لافت للانتباه، وأكد بشكل جازم: "ما هو إلا تهويل بتهويل".

وبيّن أن هناك من استغل تداول شائعات حاقدة كهذه ضد البلد هدفها النيل من صموده وتعطيل لبعض الأنشطة الإنتاجية، وتحديداً الصناعية والتجارية، وإشاعة الخوف، وعدم دخول استثمارات جديدة، ولإظهار أن مؤسسات الدولة لم تعد قادرة على فعل أي شيء، وهذا ليس صحيحاً بالمطلق.

وأوضح أن الصناعي اليوم عندما يريد أن يهاجر لا يقوم بـ "ضب أغراضه"، بل يحتاج إلى إجراءات لإغلاق معامله وتسريح عماله، وهذا ليس بالأمر السهل، وهو عملية معقدة علماً أنه

يمكن أن يكون هناك هجرة لمن ليس لديهم رأسمال ويبحثون عن فرص استثمارية لتطوير أنفسهم ودعم الاقتصاد. وأكد طيفور أن التصريحات العشوائية الفردية ليس إحصائية رسمية، وإنما السجلات الرسمية، فالمهاجر هو من يقوم بطي ملفه بالمالية، وترقين ملفه بالغرف والسجل، ومن يقيل عماله ويغلق ملفاتهم بالتأمينات الاجتماعية. إلخ!



المشاريع الجديدة تتزايد

ولا يختلف الموقف الرسمي عما أدلى به التجار والصناعيون، فقد أكد وزير الصناعة، زياد صباغ، إن "ما يتردد من كلام عن موضوع هجرة الصناعيين ما هو إلا مجرد كلام لا أساس له، والصناعة السورية موجودة بمصر منذ زمن بعيد، والصناعي عموماً حتى قبل الحرب لديه منشآت داخل القطر ومنشآت خارج القطر، وهذه ظاهرة طبيعية وحق لكل صناعي في أي بلد، والصناعي السوري موجود في كل مكان، ويجب ألا نستمع إلى هذه الشائعات". وأوضح صباغ أن "إغلاق المنشآت والهجرة ليسا بالأمر السهل والوثائق التي تردنا إلى وزارة الصناعة تؤكد غير ذلك، وخاصة أن هناك الكثير من الطلبات التي تردنا يوميا للاستثمار وفتح مشاريع جديدة على قانون الاستثمار".

والحكومة تقدم للصناعي كامل الدعم، وعندما يكون هناك إنتاج لسلعة معينة يتم إيقاف الاستيراد لمصلحة المنتج المحلي، ويتم العمل حالياً على إعداد مرسوم بالتنسيق مع وزارة المالية لإعفاء المواد الأولية الداخلة في الصناعة بشكل عام، وهو الأمر الذي يخفف التكلفة للمنتجات الصناعية. وقال صباغ: حتى تاريخه لا يوجد أي صناعي في سورية أغلق منشأته، والواقع غير صحيح، وما يشاع عبارة عن حالات "تأفف" عامة، ولا أحد راض عما لديه، وموضوع الغلاء والحياة اليومية سببه الأساسي هو الحرب على سورية، حيث انعكست آثارها السلبية على الدولة ووارداتها الاقتصادية.

ليس كل صناعي مغادر.. مهاجر!

ويبدو ان المروجين لهجرة الصناعيين اعتمدوا على فرضيات لا أساس لها على أرض الواقع، فليس كل صناعي أو تاجر مغادر للحدود هو مهاجر، وإلا لكان آلاف السوريين الذين يغادرون بقصد السياحة أو الزيارات العائلية هم أيضا مهاجرون لن يعودوا إلى الوطن!

الصناعي حين يهاجر يقوم - كما أشرنا - بإجراءات علنية، لا سرية، كإغلاق المنشأة، وتسريح العمال وتسوية أوضاعه في التأمينات. وفي هذا السياق، أكد رئيس غرفة تجارة حلب، محمد عامر حموي، أن "الأرقام التي تخص هجرة الفعاليات الاقتصادية، والتي سوقتها مواقع وصفحات مشبوهة ومغرضة، مجرد مبالغات لا منطقية ومزايدات على حساب الوطن والمواطن".

ونقل حموي عن مصادر موثوقة في سجلات تخص المنافذ البرية والجوية قولها إن الأرقام المروجة لا تصل إلى ١٠٪ من الأرقام المتداولة، وأكثر المغادرين للبلاد بغرض السياحة أو الدراسة أو لعائلات مقيمة في الخارج وعائدة من إجازاتها، وأشار إلى أن لكل شخص ظرفه، "فمن اختار السفر سابقاً، سافر إلى مقصده وانتهى الأمر". وتساءل: لماذا نصدق الشائعات ونتداولها؟ ألم نتعلم من دروس السنوات العشر، أم نسينا تآمرهم وحقدهم علينا وتكالبهم على مقدرات البلد ونهضته وصموده في وجه غزواتهم؟

كما أكد إياد السباعي، رئيس غرفة تجارة وصناعة حمص، أن "كل ما يشاع عن هجرة التجار والأرقام المتداولة كلام مبالغ فيه. التجار على رأس عملهم وأملنا بالقادم هو الأفضل وأرقام غرفة تجارة حمص تتحدث عن زيادة في الأسواق المفتتحة، والفعاليات التجارية والصناعية التي عادت إلى عملها، وجميع الصناعيين والتجار على رأس عملهم، وهم موجودون في معاملهم".

نمو المشاريع الصناعية.. بالأرقام

وبما أن الأرقام تفضح الأكاذيب وتدحض الشائعات، فقد كشفت وزارة الصناعة من خلال إحصائية رقمية، عن نمو ملحوظ في عدد المنشآت الصناعية المنفذة، والمصانع التي دخلت الإنتاج مؤخراً في المدن الصناعية بريف دمشق وحمص وحلب، والتي تجاوزت نسبها الضعف خلال العام الجاري.

ففي المدينة الصناعية بحسياء، وصل عدد المنشآت التي تم تنفيذها خلال العام الجاري إلى ٢٦ منشأة مقارنة بـ ١٣ في العام الماضي، وهذه المنشآت توزعت بين كيميائية وهندسية وغذائية، إضافة إلى ٥ منشآت نسيجية تم تنفيذها في العام الحالي. وفي محافظة ريف دمشق، عاد الإنتاج بقوة، سواء في مدينة عدرا الصناعية أم تل كردي وفضلون ويبرود والريمة وصحنايا والكسوة وغيرها، وبلغ عدد الرخص الصناعية في المنطقة الصناعية بعدرا حتى نهاية آب الفائت ٣٧٥٧ رخصة، وعدد المقاسم المخصصة ٥٣١٥، وعدد المنشآت العاملة حتى التاريخ نفسه ١٠٦٨، بينما بلغت رخص البناء منذ بداية العام ٣٠٠ رخصة، وعدد المقاسم المرخصة أيضاً ٢٧٥ رخصة ومقارنة بالأعوام السابقة، فقد حقق هذا العام أعلى نسبة إنجاز صناعي، وما زال الطلب على تخصيص المقاسم متواصلاً، حيث بلغت نسبة امتلائها في القطاعات الأول والثاني والثالث والرابع والخامس ١٠٠ بالمئة. أمّا في حلب، فقد وصل عدد المنشآت التي أقلعت منذ تحرير المدينة وحتى تاريخه ١٧٩٤٥ منشأة، على حين كان عددها خلال الحرب ٢٥٠٠ منشأة. وحسب التقرير الوارد من مديرية الصناعة في حلب، بلغ عدد المنشآت في التجمعات والمناطق الصناعية ٣٣٩٩٣ منشأة، منها ١١٩٦٤ منشأة صناعية، و٢٢٠٢٩ منشأة حرفية، أقلع منها ١٧٢٢٩ منشأة، إضافة إلى ١٨٣ منشأة يتم تأهيلها حالياً في مناطق الريف الشرقي. وأشارت مديرية صناعة حلب إلى أن عدد المنشآت التي تم تنفيذها مؤخراً بلغ ٢٥١ منشأة صناعية توزعت بين ٦٠ منشأة غذائية و٦٥ هندسية و٤٥ كيميائية و٨١ نسيجية، إلى جانب تنفيذ ١١٠ حرف صناعية توزعت بين ٢٣ نسيجية و٥٣ غذائية و٢٤ هندسية و١٠ حرف كيميائية، إضافة إلى ٧٢٠ منشأة عاملة في المدينة الصناعية في الشيخ نجار. وسجلت المدينة الصناعية بعدرا هذا العام أعلى نسبة تخصيص للمقاسم الصناعية، وهي تعمل على مدار الساعة، وكل الصناعيين متمسكون بمصانعهم وآلاتهم وحتى تاريخه تم ترخيص نحو ٣٠٠ رخصة بناء - وهو رقم يسجل لأول مرة - كما تم تخصيص ٢٧٥ مقسماً في عام ٢٠٢١، إضافة إلى وجود ١٠٦٨ منشأة منتجة موجودة على أرض الواقع، و٣٨٠٠ رخصة بناء.

الخلاصة

واهم جدا من يتوقع انحسار الحرب الإعلامية على سورية، فهذه الحرب التي تعتمد على التحريض ونشر الإشاعات والأكاذيب لن تتوقف، بل ستتصاعد لمنع إعادة الإعمار بأية طرق ممكنة، والرد على هذه الحرب لا يكون بالأقوال وإنما بالأفعال، كمشاركة سورية - بقطاعيها العام والخاص - في المعارض الاقتصادية الخارجية وبزيادة صادراتها، والأهم بتبني آليات فعالة لجذب الاستثمارات العربية والأجنبية وتحفيز من هاجر من الصناعيين السوريين في السنوات الأولى للحرب على العودة إلى وطنهم سورية.

الوصول للبطل الأولمبي بحاجة إلى تكاتف الجميع وذهنية تؤمن بالمصلحة الرياضية

"البعث الأسبوعية" ـ ناصر النجار

أقيم نهاية الشهر الماضي مهرجانان رياضيان لدعم مسيرة الحركة الرياضية، وهما على التوالي: مهرجان دعم الألعاب الفردية الرياضية، والثاني جاء بعده، وأقيم على يومين بعنوان "تطوير الرياضة المدرسية والجامعية".

وما حدث ينم عن حرص المسؤولين على دعم الرياضة ضمن الأصول والخطط والبرمجة بعيداً عن الارتجال والعشوائية، والملاحظة المهمة التي لفتت الأنظار أن الدعم القادم سيتوجه إلى الألعاب الفردية القادرة على التألق في الميادين العالمية، وعلى المواهب الصغيرة التي هي القاعدة في تحقيق نقلة نوعية بالرياضة، وهذا أمر مطمئن، ويدخل السرور على قلوبنا وقلوب كل الرياضيين، ويمنحنا الأمل والثقة للارتقاء والتطور والنجاح.

المؤتمران وضعا النقاط على الحروف، ولم يبق من ذلك إلا التنفيذ، والتنفيذ هو من اختصاص الرياضيين بمختلف مواقعهم واختصاصاتهم، والمهم أن يبدأ العمل بالسرعة الكلية وصولاً إلى الهدف، وعلينا رسم الاستراتيجية وتحديد المدة وتهيئة كل عوامل النجاح لنرى بذور هذا الهدف وقد أثمرت وأينعت.

عوامل النجاح

أي مشروع رياضي يحتاج ليحقق النجاح إلى عوامل متعددة، أهمها وجود مكان التدريب والتأهيل، ووجود الخبرات الرياضية المتميزة، ووجود التجهيزات والمستلزمات الرياضية، ووجود الدعم المالي من أجل السير بالعمل الرياضي قدماً نحو الأمام، وعندما تتوفر هذه الأمور فلا بد من تحقيق النجاح.

والنقطة التي بصالح رياضتنا أنها مملوءة بالأبطال والمواهب، ولم يكن اختيار الألعاب الفردية في هذا المشروع رمية من غير رام، إنما نتيجة دراسة معمقة أثبتت أن الرياضة الوطنية قادرة على المنافسة عالمياً بمثل هذه الرياضات.

والألعاب الفردية وألعاب القوة كثيرة، ولا بد من دراسة واقع هذه الألعاب على كل الصعد: العربي والآسيوي والعالمي، وبعد ذلك علينا تحديد الألعاب التي يمكنها المنافسة على الصعيد العربي، أو على الصعيد الآسيوي، أو على الصعيد العالمي؛ إذ من المستحيل أن ندخل المنافسات العالمية بكل الألعاب دفعة واحدة، والتدرج بذلك يكون خطوة خطوة ضمن برنامج علمي مدروس.

ومن خلال متابعتنا للرياضات العالمية في البطولات الكبرى، نجد أن هناك دولاً مختصة بألعاب معينة، ودولاً أخرى يشهد العالم بتفوقها في ألعاب محدودة، لكن اسمها عن منصات التتويج العالمي، لا يغيب مهما كان موقع المنافسة ومكانها وحجمها، فالقضية ليست كماً، بقدر ما هي نوع.

والخطوة الأولى في رحلة الألف ميل لنصل إلى طموحنا تبدأ من القوانين والآليات التي تعرقل العمل الرياضي، فهناك الكثير من المواد بات بحاجة إلى تغيير وتعديل ليتلاءم مع هذه الخطوة الجبارة.

وأول هذه القوانين هو القانون المالي، فالرياضيون بهذه الألعاب يحتاجون إلى رعاية خاصة، ونظام تغذية ورعاية صحية؛ وهذه الأمور قد يعجز عنها الرياضي لأنها تحتاج إلى مال وفير، لذلك لا بد من دخول الاحتراف عالم هذه الرياضات بكل الوسائل المتاحة، ليتمكن الرياضي من الوصول إلى المستوى الفني المطلوب. ونشير هنا إلى موضوع إذن السفر الذي بات لا يعادل "سندويش"، وهذه المعاناة تشمل كل الرياضيين بكل الألعاب، لنجد أن الرياضيين يصرفون على الرياضة بدل أن تصرف عليهم، وضمن هذا المبدأ لن نصل إلى البطل الأولمبي، ويبقى حديثنا عنه عبارة عن كلام في الهواء.

أيضاً القائمون على هذه الألعاب يجب أن يحترفوا العمل - سواء الإداري أو الفني أو غيره - فالرياضة التطوعية لم تعد تغني أو تسمن من جوع، وهذا الأمر يجب أن يكون بالحسبان، وأن يؤخذ بعين الاعتبار، فالمال عصب الرياضة، وعندما يكون الجميع مرتاحين مالياً والرياضة تؤمن لهم ضرورات الحياة، فإنهم سيتوجهون بكامل إمكانياتهم نحو العمل، ولا شيء غيره

وعندما تكفي الرياضة أبناءها فإننا نقلص مساحة الفساد في الرياضة، ولا يستطيع أحد تجاوز القوانين والأنظمة المالية والبحث عن طرق الاحتيال والنصب ليكفي نفسه وعائلته؛ مع العلم أن الرياضي في هذه الألعاب يدفع المال الكثير من أجل التدريب والتغذية، حتى يصل إلى بطولة للجمهورية، وليس إلى بطولة عالمية.

ومن عوامل النجاح - وقد يكون من أهمها - مكافحة الفساد الرياضي، وهذا منوط بأصحاب الشأن، ونحن نطالب به بقوة، لأن الرياضة النوعية لا يمكن أن تنمو وتتطور مع وجود الفساد والفاسدين والمتطفلين والمستغلين.

خارطة رياضية

أكثر من مرة، نوهنا إلى ضرورة وجود خارطة رياضية صحيحة توزع فيها الألعاب على المناطق الجغرافية حسب الاختصاص، بحيث تشمل الألعاب الرياضية أغلب المناطق، ووجودها بكثافة في منطقة ما على حساب أخرى يفرضه وجود النوع والكم من الأبطال والمواهب؛ فالعشوائية في الرياضة والتخطيط الرياضي لا يمكن أن توصل للهدف، ولا بد من رسم معالم رياضية لكل الألعاب ليكون الانتشار معقولا وملائما للأجواء المحيطة وهنا نجد ضرورة التخصص في الأندية، فألعاب القوة والألعاب الفردية ماتت على حساب كثافة الألعاب في الأندية واهتمام هذه الأندية بلعبة أو لعبتين - على الأغلب هما كرتا القدم والسلة - لذلك ماتت هذه الرياضات في الأندية بسبب الإهمال والتعامل معها باللامبالاة.

من هنا، نجد ضرورة الوصول إلى التخصص؛



والأندية المتخصصة لا تحتاج للمساحة الوفيرة، ولا الكلف العالية، فإذا كان ناد متخصص بألعاب القوة (ملاكمة – مصارعة - جودو – كاراتية – كيك بوكسينغ – رفع أثقال – قوة بدنية – بناء أجسام) فهذه الألعاب لا تحتاج إلا لصالة معقولة متعددة الأغراض مع تجهيزات لكل لعبة على حدة؛ وليس من الضروري أن يحمل كل ناد كل هذه الألعاب، والمفترض ألا يضم أي ناد أكثر من ثلاثة ألعاب وعلى سبيل المثال، فالملاكمة تنسجم مع الكيك بوكسينغ، ورفع الأثقال تنسجم مع القوة البدنية وبناء الأجسام، ووفق ذلك يتم التوزيع.

نخلص مما سبق إلى أنه إذا أردنا التفوق بألعاب القوة تحديداً، فإن علينا العناية بالأندية الريفية وأن يتم افتتاح مراكز تدريبية في هذه الألعاب، ومن الطبيعي أن نصل بذلك إلى التفوق الذي ننشده، وعلينا أن نقتنع أن منجم المواهب موجود في الريف.

مواصفات أخرى

هناك العديد من الألعاب الرياضية الفردية تحتاج إلى إمكانيات كبيرة ومنشآت متطورة وغير ذلك، ومن هذه الرياضات الدراجات، وهي الرياضة الميكانيكية، وقد لا تجد ضالتها في الأندية للتكاليف الباهظة التي تتطلبها من ثمن دراجات ونفقات إصلاح وصيانة، ومن الممكن أن يتبنى هذه الرياضة الأندية الكبيرة ذات الموارد الاستثمارية، وأن يتم اعتماد مراكز في المحافظات لها بإشراف اللجان التنفيذية؛ ولا بأس إن كانت ضمن المدن الرياضية الكبيرة كمدينة تشرين والفيحاء والجلاء، فهذه المدن قادرة على رعاية هذه الرياضة وتأمين كل مستلزماتها.

هكذا الكلام ينطبق أيضاً على أم الألعاب التي تحتاج مساحات واسعة، وأعتقد أن اعتماد المدن الرياضية لهذه الرياضة أمر في غاية الصواب؛ والاعتماد حالياً على ملعب تشرين فقط، والمفترض أن تتوسع هذه الرياضة لتشمل كل المدن الرياضية، وكل الملاعب بالمحافظات، وأن تتبناها اللجان التنفيذية بكل ما تحتاجه من مستلزمات وتجهيزات ونفقات.

ومن الممكن أن تنتشر بعض مسابقات ألعاب القوى الخفيفة التي لا تتطلب المساحات الواسعة والتكاليف الباهظة في الأندية الريفية، كمسابقات الجري القصير والمتوسط والماراثون.

رياضة الرماية، أيضاً، لها مراكزها، وتتطلب نفقات باهظة، ومن المفترض تفعيل أنديتها تماشياً مع النهضة المطلوبة بالرياضات ذات الطابع الفردي.

أما السباحة فتعتبر رياضة جماهيرية وعشاقها كثر؛ ومن الممكن أن تمنحنا هذه الرياضة أبطالاً بالسباقات الأولمبية، كما منحتنا أبطالاً بسباحة المسافات الطويلة.

والمشكلة في هذه الرياضة أنها موسمية لأنها رياضة صيفية ومسابحنا أغلبها مكشوفة تعمل حوالي ثلاثة أشهر فقط ومن أراد أن يصبح بطلاً فالأشهر الثلاثة هذه لا تصنع الأبطال، وقد تصنع سباحاً.

وليس لدينا مسبح مغطى إلا مسبح تشرين، وهو لا يفي بالغرض، لذلك لا بد من مشروع لتغطية كل مسابح الأندية من أجل التفكير بأبطال السباحة الأولمبيين؛ وفي هذه الحالة، تستفيد رياضة الترياتلون، ومن الممكن إحياء رياضة الغطس التي انقرضت منذ زمن بعيد، وكذلك كرة الماء.

ذهنية المال

من الرياضات الفردية الجميلة الموجودة بكل الأماكن الرياضية وغير الرياضية هي كرة الطاولة والبلياردو، وللأسف فإن هاتين اللعبتين استثمرتهما الأندية مالياً ولم تستثمرهما رياضياً، فلا يخل ناد من أنديتنا إلا وبه طاولة أو طاولات بلياردو، وللأسف نجد إنها تعامل معاملة (الفيشة) وهي موجودة في كل الأماكن الرياضية لجلب المال لا لصناعة المواهب والأبطال، ولو أن أنديتنا هذه اهتمت بهاتين اللعبتين لوجدنا أكثر من هند ظاظا بملاعبنا وصالاتنا، ويبقى الاهتمام بهما محصوراً بأندية قليلة جداً وهذا لا يفي بمنهج التطور والتقدم.

مسؤولية الجميع

الحديث عن دعم الألعاب الفردية وألعاب القوة لا يعني أن نبقى مكتوفي الأيدي، وأن ننتظر الدعم فقط، فالمسؤولية في هذا الشأن منوطة بالجميع. منوطة بكل رياضي وبكل المؤسسات الرياضية مهما كان حجمها وموقعها.

ونجاح العمل يأتي من التكاتف والعمل الجاد المخلص وتوزيع المهام واستقطاب كل الخبرات، لأن المرحلة القادمة تستوعب كل خبراتنا وتتطلب وجودهم في العمل الرياضي، وبالتالي علينا إلغاء شعار "هذا معي وهذا ضدي!!"، فكلنا للرياضة، ومنها جئنا، ونعمل لأجلها، والمواضيع الشخصية لا علاقة لها بالعمل الرياضي، فقد نحب فلاناً ونكره آخر، وهذا لا علاقة له بالعمل الرياضي لأن المقياس يجب أن يبنى على ميزان الخبرة والكفاءة والنزاهة.

ولأن هذا التحول بالعمل الرياضي يتجه نحو القواعد والاهتمام بالمواهب فإننا نتمنى من القائمين على العملية الرياضية بكل المؤسسات الاهتمام بالبراعم والخامات الرياضية لأنهم أمل رياضتنا، وسبق أن كتبنا عن الإهمال الذي طال هؤلاء من نواحي الإقامة المزرية، وعدم الاهتمام واللامبالاة؛ وآخر هذه الصور السلبية ما حصل في نهائي بطولة المحافظات للأشبال بكرة القدم، وقد فاز ببطولة الجمهورية منتخب حلب، وفوجئ الجميع بعدم وجود تتويج رغم حضور ثلاثة من أعضاء اتحاد كرة القدم المباراة النهائية، واقتصر الأمر على كأس تخجل فرق الأحياء الشعبية تقديمه، والمتعارف عليه أن يتم توزيع الميداليات على الفائزين الثلاثة الأوائل وشهادات تقدير وحضور وما شابه من الأمور البروتوكولية المتعارف عليها، والتي تفرح البراعم وتجعلهم يتعلقون بالرياضة أكثر، ويبذلون الجهد والتعب من أجل لعبتهم؛ ولكن للأسف فإن رياضتنا بكل مؤسساتها تهمل هذا الجانب النفسي والمعنوي، وهو الأهم ببناء الطفل الرياضي.

نبض رياضي

القرارات الحاسمة قبل التخطيط!

«البعث الأسبوعية» ـ مؤيد البش

بينما تنشغل مختلف المفاصل في رياضتنا بالتحضير لمؤتمراتها السنوية التي ستعقد بعد غياب استمر لنحو عامين، برز خلال الأسبوع الماضي اجتماعان مهمان لرئيس الاتحاد الرياضي العام مع اتحادات الألعاب الفردية ورئيس المكتب المشرف، إضافة لاجتماع آخر مع اتحادات ألعاب القوة ورئيس المكتب المشرف أيضا. وعلى الرغم من أن العنوان العريض للاجتماعين كان دراسة خطط المشاركات الخارجية وإمكانية تحقيق نتائج متميزة إلا أن بعض التفاصيل كانت مهمة لتحديد شكل المرحلة القادمة لهذه الألعاب.

فوفقا لمصادر «البعث الأسبوعية»، فإن كلام رئيس الاتحاد الرياضي أعطى تفاؤلا عاما بنظرة مختلفة للألعاب الفردية وألعاب القوة من حيث الاهتمام والرعاية وتقديم كل مستلزمات النجاح، إضافة لتوفير فرص الاحتكاك اللازمة والمعسكرات التي دائما ما تكون مصدر شكوى ومعاناة، لكن الأمر الملفت - وفق ذات المصادر - كان تأكيد رئيس الاتحاد الرياضي على ضرورة وجود استقلالية في القرار بالنسبة للاتحادات، بعيدا عن سطوة بعض أعضاء المكتب التنفيذي ومحاولتهم فرض رؤيتهم على الاتحادات والتأثير على قراراتها، حيث تمت مطالبة رؤساء الاتحادات بالتمسك بآرائهم بعيدا عن كل الضغوطات.

وهنا، لابد من التنويه بوجود الكثير من المشاكل في بعض الاتحادات التي تم الاجتماع معها منذ فترة طويلة، دون وجود حلول حاسمة من المكتب التنفيذي ورؤساء المكاتب المختصة تحديدا؛ كما يمكن لأي متابع مشاهدة الانقسامات الحاصلة وتحول بعض الاتحادات إلى عناصر متفرقة كل منها يشكو الآخر دون التفات للغاية الأساس، ألا وهي التفكير في مصلحة رياضة الوطن.

وفي ذات السياق، يمكن فهم الاجتماع على أنه اعتراف بجدوى الألعاب الفردية والقوة وقدرتها على حمل رياضتنا إلى منصات التتويج، لكن الأمر في هذا المجال يتطلب أيضا تغييرا سريعا في المعايير وطريقة التعامل، فمن غير المنطقي إيجاد المبررات لمنتخبات كرتي القدم والسلة عندما تخسر في بطولات أو تصفيات قارة آسيا، ولا يسمح لبعض الألعاب أن تشارك في البطولات القارية بسبب تفاوت المستوى وصعوبة تحقيق نتائج، كما أن الحكم على هذه الألعاب لا يمكن أن يحصل من مشاركة وحيدة خلال العام، وبالتالي الوعود بفرص احتكاك يجب أن يشمل أيضا إعطاء الفرص المتعددة قبل الحساب والتقييم.

كما قلنا سابقا، الاجتماعان وما سبقهما هما مجرد خطوة في الاتجاه الصحيح، لكن الموضوعية تقتضي أن نشير إلى أن التغيير في بعض الاتحادات بات واجبا لا يقبل التأجيل، فإذا كانت الخطط جاهزة والفكرة قائمة لإطلاق مشروع مستقبلي للألعاب الفردية والقوة فإن بعض الاتحادات ليست مستعدة لا للتنفيذ ولا حتى للتفكير بعيدا عن مصالح أعضائها.

المؤتمرات السنوية محطات تقييم وتصحيح للارتقاء برياضتنا.. فهل نشهد سيناريو التكرار الممل؟

"البعث الأسبوعية" ـ عماد درويش

تستعد اتحادات الألعاب واللجان الفنية والأندية لعقد مؤتمراتها السنوية بعد أيام قليلة، وهذه المؤتمرات يفترض أن تكون محطات للتقييم ومراجعة الذات من حيث المشاركات وما تحقق، وتصحيح الاعوجاج للارتقاء برياضتنا، لكن وللأسف غالبا ما يتحول معظمها إلى ساحات للمصالح الشخصية والمهاترات، لتبتعد عن الغاية التي تعقد من أجلها وهي التقييم لتعزيز الإيجابيات وتصحيح السلبيات وجعل المصلحة العامة وتطوير الرياضة بمختلف مفاصلها.

تقييم العمل

ودون أدنى شك، المطلوب من هذه المؤتمرات الوقوف على عمل الأندية والاتحادات، وتقييم العمل خلال عام كامل والوقوف على مكامن الخلل والعمل لتحسين واقع الألعاب، لكن جميع المراقبين والمتابعين باتوا غير متفائلين بعقد مثل هذه المؤتمرات، في ظل التراجع الكبير الذي أصاب أوصال الرياضة السورية التي تعاني الكثير من المشاكل وأهمها البند المالي، حيث تعاني منظمة الاتحاد الرياضي من الشح المالي، وهذا ما أثر على الرياضة بشكل عام وأدى إلى تراجعها محليا وخارجيا (باستثناء كرتي القدم والسلة اللعبتين المحترفتين في رياضتنا).

نسخة طبق الأصل

كوادر الرياضة السورية تأمل بأن تخرج المؤتمرات عن المألوف لتصحيح مسار رياضتنا، لا أن تكون نسخة طبق الأصل عن المؤتمرات السنوية السابقة، من حيث طرح نفس المعاناة التي تعيشها الأندية واتحادات الألعاب، أم من حيث المطالب والمقترحات التي تتكرر كل عام، ومع كل مناسبة رياضية، مع العلم أن هناك الكثير من الأفكار التي تم طرحها سابقا ولم تر النور، وإن تم تطبيقها فلم يكن بالمستوى المطلوب، وأبرزها مشروع البطل الأولمبي الذي يعد من الأولويات، فالعديد من المنتخبات في معظم الدول تعتمد اعتمادا رئيسيا على هكذا مشروع كونه الرافد الأساسي لها، وتحديدا في الألعاب الفردية، إلا في رياضتنا فيبدو أنه بات من المنسيات، والكثير من المنتخبات في ألعاب القوة مثل المصارعة والملاكمة والجودو بحاجة إلى وجود مثل هذا المشروع، فالبطل في هذه الألعاب يحتاج إلى وقت طويل وجهد تدريبي عال يستند إلى أحدث الطرق التدريبية المواكبة للتطورات مع توفير كافة المتطلبات الأساسية.

كافة الرياضيين يتمنون أن تأخذ المؤتمرات منحى مختلفاً عما جرى بانتخابات الأندية أو اللجان الفنية التي جرت عبر تكتلات ومفاوضات سرية وعلنية ووساطات وتحالف هذا مع هذا، وذاك ضد ذاك، ومحاولات تجري في الكواليس لإبعاد أناس وتقريب آخرين.

"تيتي تيتي"

المتتبع لواقع الرياضة السورية يجد أن غالبية المؤتمرات السنوية التي كانت تعقد فيما مضى ينطبق عليها المثل الشعبي "تيتي تيتي متل ما رحتِ جيتي"، باستثناء خروج بعضها عن المألوف من حيث تحقيقَ الإنجازات، أما المصاعب فلا تزال "هي هي" من حيث الطرح والمطالبات على صعيد الأندية أم الاتحادات والمتمثلة جميعها بعدم توفر المال، وفيما يخص المقترحات فنجدها سيناريو مكررا منذ سنوات طوال، وكأن حال رياضتنا بات أشبه ما يكون بسلحفاة تحاول أن تسابق الزمن ولكن ببطء، ويغمز البعض بأنه حتى السلحفاة ورغم بطء حركتها فإنها في النهاية تصل إلى مبتغاها وتحقق هدفها فيما نجد حال غالبية أنديتنا ولجاننا الفنية واتحادات الألعاب مكانك راوح بالمجمل ما لم يكن هناك تراجع واضح لدى البعض منها.

آمال معلقة

القيادة الرياضية الحالية مطالبة بالتدخل لكي تعيد رياضتنا لسكة التطوير، خاصة وأن هناك الكثير من الاتحادات أو الأندية واللجان الفنية التي لم تثبت جدارتها منذ أن تم انتخابها وحتى الآن، وبعض الاتحادات فيها الكثير من المشاكل وقدم معظم أعضائها الاستقالة ولم تبت القيادة الرياضية بأمرها وحتى لم تقم بتغييرها، ربما لأن رؤساء تلك الاتحادات من المقربين لأعضاء المكتب التنفيذي.

وبالتالي آمال الرياضيين والكوادر كلها معلقة على ما ستفرزه تلك المؤتمرات وما تقرره القيادة الرياضية، في ظل وجود مشكلات عديدة في بعض اتحادات الألعاب وتقاعس البعض منها وعدم قيامه بواجباته، فغياب دور القيادة الرياضية والمحاسبة فيما مضى نتج عنه الكثير من التجاوزات، ولن تتطور رياضتنا إذا لم يأخذ المكتب التنفيذي دوره كاملاً في المحاسبة.

تغييرات مرتقبة

وبكل الأحوال، تدور حاليا في الكواليس أحاديث عن تغييرات مرتقبة في اتحادات الألعاب والأندية "بانتظار المؤتمرات السنوية"، خاصة أنه تم كشف عن وجود خلل وشرخ كبير في بعض الاتحادات والأندية على حد سواء، فرياضتنا بحاجةً لقرارات حاسمة.

فهل ستتم مناقشة أوضاعها خلال المؤتمرات المرتقبة واتخاذ القرارات المطلوبة؟ إن على المكتب التنفيذي للاتحاد الرياضي أن يأخذ دوره الحقيقي وأن تنتج عنه القرارات المطلوبة لإعادة رياضتنا إلى سكتها الصحيحة.

وجود الخبرات

الخبرة الرياضية هشام الشمعة أشار إلى أن مؤتمرات الأندية والاتحادات السابقة إن لم تكن مجدية وتحمل معها الايجابيات والابتعاد عن السلبيات فلا جدوى منها، فالمطلوب في المؤتمرات المقبلة وضع خطة مستقبلية يتم تنفيذها، ويجب محاسبة المقصرين وعدم تعديل أي قرار بين المؤتمرين بشكل ارتجالي، وكل ما يقر بالمؤتمر ينفذ خلال العام وتمنى الشمعة أن تكون مؤتمراتنا حقيقية التأثير، ولا تبقى مخرجاتها حبرا على ورق، فابتعاد أهل الألعاب من خبراتنا عن المؤتمرات القادمة لاعتقادهم أنهم مستمعون ومنفذون، أي "كومبارس"، سيضر باللعبة، إضافة إلى أن "التفرد" الذي ينتهجه رؤساء بعض الاتحادات أو الأندية يؤثر على العمل الرياضي فيها، وبالتالي ستبتعد الكوادر الرياضية عن العمل.

وطالب الشمعة أعضاء المؤتمرات بوضع خطة عمل سنوية وجب تنفيذها مع وضع الرجل المناسب والخبرة المطلوبة وزجهم في الاتحادات والأندية فهم الأجدر في قيادة العمل الرياضي على كافة الأصعدة.

مستر أولمبيا بين التاريخ وسيطرة «البيغ رامي».. قصة رياضة مليئة بالفائدة والشائعات!!

"البعث الأسبوعية" ـ سامر الخيّر

استطاع اللاعب المصري ممدوح السبيعي، المعروف بـ "البيغ رامي"، حصد أرفع ألقاب رياضة بناء الأجسام، وهو لقب "مستر أولمبيا" للمرة الثانية توالياً، محققاً إنجازاً تاريخياً عربياً وشخصياً. لقب استحقه رامي عن جدارة بعد منافسة شرسة مع أقرانه ضجّت لها الصحافة العالمية ومواقعُ التواصل الاجتماعي حتى قبل أن تبدأ المنافسة بأيام، نظراً للحظوة التي حصدتها هذه الرياضة في العقد الأخير، فهي الرياضة الفردية الأكثر شعبية ومتابعة والتي تحظى بضخ مالي كبير جدا.

"بيغ رامي" بات أول لاعب يفوز بالبطولة مرتين على التوالي منذ فيل هيث الذي حقق اللقب ٧ مرات متتالية، ما بين ٢٠١١ و٢٠١٧. وحصد رامي المركز الأول، يليه الأمريكي براندون كوري، ثم الإيراني هادي تشوبان، والأمريكي هانتر لابرادا، وفي المركز الخامس جاء الأمريكي الواعد نيك واكر. وظهر رامي في حلة مثالية رفقة تشوبان وكوري مما وضع لجنة التحكيم في حيرة وانقسام، لكن الكفة مالت أخيراً للاعب العربي.

ابن السادسة والثلاثين صُنع في بلد عربي، ولكن ليس بلده الأم وإنما الكويت التي بدأ فيها مسيرته الفعلية في اللعبة، حين توج بكأس الكويت الذهبية لكمال الأجسام عام ٢٠١٢، وفي نفس السنة حصد أول بطولة أولمبيا ولكن للهواة، وشهد العام التالي قفزة قوية في مسيرته تمثلت في أولى مشاركاته في بطولات الاتحاد الدولي لكمال الأجسام واللياقة البدنية، وتحديداً في منافسات "نيويورك برو أولمبيا" التي استطاع التتوج بلقبها، مؤكداً قدرته ورغبته في ترك بصمة قوية في تاريخ اللعبة، وفي نهاية العام شارك لأول مرة في "مستر أولمبيا" محرزاً المركز الثامن، والسابع في ٢٠١٤، والخامس في ٢٠١٥، والرابع في ٢٠١٦، ثم وصيفاً في ٢٠١٧، قبل أن يتراجع للمركز الثامن في نسخة ٢٠١٨، ثم حل بالصدارة في ٢٠٢٠ و٢٠٢١.

كما توج ببطولة "أرنولد كلاسيك" ثاني أقوى البطولات في رياضة بناء الأجسام عام ٢٠١٥ و٢٠١٧، وكذلك حل في المركز الثاني في بطولة "براغ برو" عامي ٢٠١٥ و٢٠١٦.

وبعد فوزه شغلت مواقع التواصل مسألةٌ فنية ظهر فيها رامي أثناء المنافسة، وهي اللون الداكن لبشرته. ومن المعروف أن لاعبي بناء الأجسام يقومون بدهن مادة خاصة الغرض منها إبراز شكل العضلات أكثر وإبراز التفاصيل الدقيقة لها، وقبل هذه المادة كان اللاعبون يلجؤون للحصولة على اللون البرونزي الطبيعي من أشعة الشمس، والسبب في هذه الظاهرة ملاحظة القائمين على البطولة اختلاف شكل ونسق الجسم بين أصحاب البشرة الفاتحة والداكنة، وبالفعل قامت مادة الـ "تان" بثورة لصالح أصحاب البشرة الفاتحة.

هذه البطولة الشهيرة، التي سلبت أخبارها ألباب الشباب حول المعمورة، هي أكبر لقب للمحترفين في الاتحاد الدولي لكمال الأجسام واللياقة البدنية، وقد نشأت على يدي جو ويدر الذي رغب بإنشاء بطولة تكرم فيها أفضل رياضيي هذه اللعبة حول العالم، وسماها بـ "أولمبيا" تيمناً بالجبل اليوناني الذي كان ملهماً لكل الرياضيين قديماً وحديثاً، وأقيمت النسخة الأولى في ١٨ كانون الأول ١٩٦٥ بأكاديمية بروكلين للموسيقى، في مدينة نيويورك، ونال الأمريكي لاري سكوت اللقبين الأولين، في عامي ١٩٦٥ و١٩٦٦، ثم تبعه الكوبي سيرجيو أوليفا فنال ثلاثة ألقاب متوالية من ١٩٦٧ وحتى ١٩٦٩، إلى أن أتى عصر أسطورة بناء الأجسام النمساوي أرنولد شوارزنيغر الذي حصد اللقب ٦ مرات متتالية من عام ١٩٧٠ وحتى عام ١٩٧٥، ليتجه بعدها إلى التمثيل من أوسع أبوابه، فاعتزل المشاركة في البطولة، لكن تحدي العديد من أبطال هذه اللعبة والقائمين على البطولة بالتشكيك في قدرته على حصد اللقب، في ظل تطورها ووجود خامات جديدة أقوى، جعله يعود للمشاركة عام ١٩٨٠ حاصداً لقبه السابع، أما أول إنجاز عربي في البطولة فجاء من قبل اللبناني سمير بنوت الذي نال اللقب عام ١٩٨٣، كما أحرز المصري محمد مكاوي المركز الثاني في نفس السنة.

وكانت البطولة تلعب بنظام الوزن المفتوح إلّا بين عامي ١٩٧٤ و١٩٧٩، حيث عمل بنظام التنافس بين وزنين، هما الخفيف والثقيل، ثم بطل الأبطال للوزنين معاً، ثم أعيد الحال إلى ما كان عليه سابقاً من وزن مفتوح واحد فقط سنة ١٩٨٠ وإلى الآن. أما الأكثر تتويجاً فهما الأمريكيان روني كولمان ولي هاني، وأكبر فائزٍ سناً بمستر أولمبيا هو شون رودين، وكان عمره ٤٣ سنة، حينَ فاز بها سنة ٢٠١٨، بينما أصغر منافس فيها هو الأمريكي هارولد بول صاحب المركز الثاني في أوليمبيا ١٩٦٥ و١٩٦٦، وكان عمره ٢١ سنة. ويعتبر فرانك زين الوحيد من بين حاملي لقب أولمبيا صاحب جسم من الشكل الرفيع.

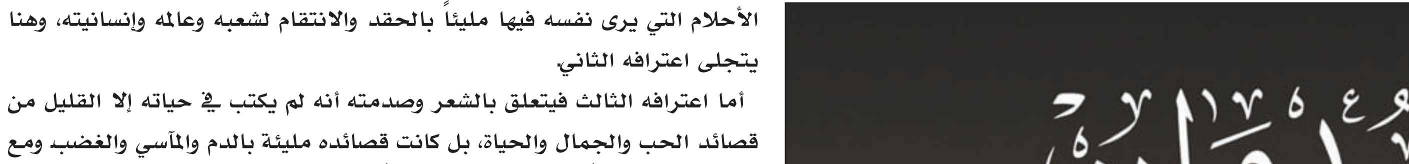
أما أهم شروط التأهل لمنافسات هذه البطولة فهي أن ينال المتأهلون أحد الألقاب التالية: الستة الأوائل في بطولة أرنولد كلاسيك، أو أن يكون بطلا سابقا في مستر أولمبيا، لكن بعد مرور خمس سنوات لا بد من الحصول على موافقة الاتحاد الدولي، وهناك الخمسة الأوائل في بطولة نيويورك برو، والثلاثة الأوائل في أي بطولة أخرى للمحترفين ينظمها الاتحاد الدولي للعبة في الموسم السابق لمستر أولمبيا، والستة الأوائل في مستر أولمبيا للسنة السابقة، وأخيراً الأول في بطولة العالم للهواة للاتحاد الدولي لكمال الأجسام واللياقة البدنية.

وبعيدا عن البطولة، لابد من التأكيد على أن هذه الرياضة متعددة الفوائد رغم إثارة البعض لمخاوف غير دقيقة بحجة اللجوء إلى المكملات الغذائية والأبر الهرمونية والمواد البنائية غير الطبيعية، ولكن هذه ظاهرة تنتشر في أوساط اللاعبين الذين يرغبون في احتراف هذه اللعبة والمشاركة في بطولاتها، فهي تشكل ثقافة متجذرة في البلاد العربية رغم أن العاملين الأساسيين للنجاح فيها هما الاستمرارية والتغذية الصحيحة، فالأبطال الصغار في السن قليلون أي أن الجسم يحتاج بشكل طبيعي لسنوات حتى يبني تلك الكتل العضلية، ولا ضرورة لكل تلك المواد. وبغض النظر عن كل ذلك، لهذه الرياضة جانب أكثر إشراقاً وامتاعاً، فهي ضمن الشروط السليمة للممارسة؛ وبعيداً عن موضوعٍ البطولات، فهي أكثر الرياضات مساهمةً في تخفيض الوزن وفي الوقت نفسه صقل وشد الجسم لتأهيله لممارسة أي رياضة أخرى، وتتطلب ممارستها بشكل عام الكثير من العناية والاهتمام خاصة للمبتدئين الذين يطلب منهم أن يتعلموا ضرورة الالتزام بالبرنامج الخاص بهم سواء في التمارين أو التغذية. وتقوم رياضة بناء الأجسام على تحفيز عضلات الجسم للنمو بشكل مثالي ومتناسق، وتظهر هذه النتائج عادةً بين ستة أشهر وسنة من ممارستها، ومن أهم قواعدها التي يجب إتباعها للوصول إلى النتائج المرجوة هي اتباع النظام الغذائي المطلوب والتدريب الدوري وأخذ قسط كاف من الراحة لتمكين العضلات من النمو.

ولهذه الرياضة العديد من الفوائد غير إنقاص الوزن وتنمية القوة البدنية والعضلية، فهي تعمل على تعزيز قدرة التحمل ومرونة المفاصل والعضلات، وتعمل على تقوية عضلة القلب وكذلك الأوعية الدموية حيث تمكن القلب من عملية ضخ كمية دم كبيرة في كل نبضة، وتخفض خطر الإصابة بأمراض الشريان التاجي والقلب، كما تتعدى فوائدها الجانب الفيزيائي لتصل للجانب النفسي.

أما أكثر الأخطاء الشائعة عند ممارسة بناء الأجسام فهي الشعور بالإحباط المبكر والتخلي عن مداومة التدريب بسبب بطء التقدم أو الوصول للجسم المطلوب نتيجة المقارنة مع محترفي هذه اللعبة وكأنهم حصلوا على أجسامهم بين ليلة وضحاها، إضافةً لاستخدام مواد كيميائية سواء بالحقن أو عن طريق الطعام.

الراحل ممدوح عدوان



مدافعاً عن الجنـون.. الوجـه الآخر للحقيقة!!

«البعث الأسبوعية» ـ سلوى عباس

«دفاعاً عن الجنون» عنوان كتاب للأديب الراحل ممدوح عدوان، صادر عن وزارة الثقافة ودار البعث، وهو عبارة عن مجموعة مقالات يقدم لها مؤلفها بعبارات تختصر مضمونها فيقول: «ربما تعطي هذه المقالات صورة عن وضع المثقف في هذه الحقبة من الزمان، وعلى هذه البقعة من الأرض، في الوقت الذي تعكس فيه آراءه بمشكلات أو طروحات وأحداث وأشخاص».

يحتفل عدوان في مقالته الأولى بالجنون كوجه آخر للعقل وصورة مثلى للحقيقة، فيشبه جنون الإنسان بصرخة الطفل التي تشير إلى نفاقهم ومراءاتهم، فالطفل يرى الحياة على حقيقتها دون رتوش أو تلوينات، ودون تبرير لهذه الرؤية. ومن هنا فإن في أعماق كل فنان طفل صادق لأبعد درجات الصدق، ويستشهد بحالة الفنان لؤي كيالي الذي امتلك جرأة إعلانه جنونه من هذا العالم البائس دون أن يهتم لرأي الآخرين وموقفهم منه.

الاعتراف بما يدور في دواخلنا، وجرأتنا على مواجهة ذواتنا بانكساراتها وهزائمها، وبعدم حيلتنا في الوصول إلى مصالحة معها، أمر يجعلنا نخرج عن طوعنا؛ والفنان شخص يشعر بإنسانيته وكرامته وحقه بالحياة بأبعادها الطبيعية وليس المدجَّنة، وهذا ما يميزه عن الآخرين برؤيته وأفكاره ضمن نطاق إنسانيته. وجنون الفنان، من وجهة نظر المؤلف، حالة طبيعية للإنسان قبل أن يكون فناناً، وهو حالة طبيعية من حالات الرفض لما يتفشى في المجتمع من كذب وانهيارات للقيم والأخلاق، فصدق الفنان مع نفسه يجعله أحياناً بحالة قطيعة مع الناس.

ويرى عدوان أن لؤي كيالي لم يوظف جنونه في خدمة فنه، لكن رؤيته لواقع البؤس الذي يعيشه الناس، والذي لم يكن ليراه سابقاً، أحدث في داخله هزة نفسية، إذ اكتشف حجم المهانة التي تعيشها الإنسانية مما أحدث تحولاً في حياته وفنه الذي كرسه لخدمة قضايا هذه الجماهير البائسة، والتي كان مدركاً أنها لن تهتم لفنه، ولن تشتري لوحات معرضه الذي أقامه كتعبير عن تضامنه مع هؤلاء البؤساء؛ وهذا التحول في إبداع لؤي وتفكيره قوبل بالهجوم من قبل جمهوره وعالمه الذي كان يعيش فيه سابقاً، وابتعد عنه. وقد كانت مطالبة الفنان بكشف سوء الواقع بفنه؛ ولكن قصور هذا الفن، بما يحمله من أفكار، عن فهم حيثيات الواقع الجديد، أنتج فناً تعبيرياً ضعيفاً، الأمر الذي جعله عرضة لهجمات لم يستطع مجابهتها والوقوف بوجهها، وإن عدم استيعاب لؤي لما يعيشه الشعب من مآس وبؤس، ومفاجأته بانهزام الأنظمة السياسية التي تبنت خلاص هذا الشعب، أفقده توازنه مع عالمه الداخلي، وكانت النتيجة أن مات لؤي كيالي محترقاً، كما عاش محترقاً.

وفي مقالة «بين الشعر والقراء»، يدعو المؤلف المبدعين للكتابة خارج سطوة الرقيب ونظرة المتلقي وحكمه على النتاج الأدبي، ويرى للشعر وظيفة واحدة هي «الدفاع عن إنسانية الإنسان في هذا العالم»، حسب قول الشاعر فوزنيسنسكي. ومن وجهة نظر المؤلف، فإن صفاء الفنان هو الوجه الآخر لعكر العالم، وتصادم هذين العالمين يولد الفن الذي يضيء على سلبيات الواقع، فالفن يعيش بالقضايا العميقة، وقيمة الشعر تتحدد بصفاء الذات المولدة للشعر، وبمدى مقدرتها على أن تكون التربة التي تحوي جذور الناس، والفن الذي لا يصل للناس هو فن فاقد لقيمته ومعناه.

ويختم المؤلف مقالته هذه بفكرة مؤداها أنه في هذا الزمن الرديء أقيم جدار بين فكر الجيل والفنان، وتم تسطيح النتاج الأدبي لهذه المرحلة، لا أن يساهم في وعي الناس أو تطور الفن.

ويؤكد الأديب عدوان في مقالته «لابد من الشعر» على ضرورة وجود الشعر في عالم قائم على المتناقضات، وهنا يشير إلى فئتين من الشعراء: فئة تطمح إلى تغيير العالم، وفئة أخرى تساهم في تكريس تناقضاته وإشكالاته، لكنه في الوقت نفسه يرى أن تغيير العالم ليس عملاً آنياً ومؤقتاً، وقد لا يكون ممكناً الآن، فالشعر هو حلم البشرية بإمكانياتها العقلية، هو ذلك الشيء العظيم الذي يؤكد أننا نبكي لأننا لم نتعود الذل، ولم نقبله، وينبهنا إلى أننا بشر، وأكبر وأعظم من يومياتنا، لهذا كان لابد من الشعر الذي يحاربه كثيرون لأنهم لايريدون لأرواحنا أن تشفى من تداعياتها وخيباتها.

وينظر المؤلف للمبدع كحال متكاملة منسجمة، لا ينفصل إبداعه عن شخصيته سواء بصدقه مع نفسه، أو بصدقه مع أفكاره التي يضمنها نتاجه الأدبي؛ ويعبر عن هذه الفكرة في مقالته «وهذا أنا أيضاً»، إذ على المبدع أن يكون متجدداً بإبداعه، وأن لايؤطر نفسه في إطار يعتاده الناس، لذلك يجب أن تكون هناك حالة دائمة ومستمرة من القلق الفني بما يتعلق بعلاقة المبدع مع الناس وبالقصيدة، ويرى أن الذين سطحوا الحياة سطحوا النظر إلى مفرداتها أيضاً، فأصبحنا لا نستطيع أن نرى في الإنسان أو الشاعر إلا الجانب الذي أحببناه وكرهناه، أو تعودنا عليه، لكنه يستدير قليلاً ليظهر جانباً آخر من نفسه وهو يقول: «هذا أنا أيضاً».

وفي مرافعة قدمت أمام محكمة الشعب الدولية في اليابان، حول جرائم الحرب التي اقترفتها إسرائيل في غزوها للبنان عام ١٩٨٢، يتحدث المؤلف عن حرية الغرب المزيفة وديمقراطيته الكاذبة؛ ويرى أن دور الأديب يكمن في طرح القضايا الإنسانية ليسمعها العالم ويعرفها ضمن الضجة الدعائية للصهيونية الامبريالية العنصرية، التي يرى أن هذه المحكمة هي المنبر الذي من خلاله ترتفع أصوات الضحايا.

وفي «اعترافاته»، يقول عدوان: إن الناس لكثرة الجرائم وانتشارها أصبحوا أقل حساسية تجاهها خاصة حين تغلفها قضية سياسية، وإن براءة الذمة وعدم المسؤولية عن هذه القضايا هي الحل، لكن عجزه عن مواجهة هذه الأحداث جميعها يتجلى كحالة تعويضية تأتيه في الأحلام التي يرى نفسه فيها مليئاً بالحقد والانتقام لشعبه وعالمه وإنسانيته، وهنا يتجلى اعترافه الثاني.

أما اعترافه الثالث فيتعلق بالشعر وصدمته أنه لم يكتب في حياته إلا القليل من قصائد الحب والجمال والحياة، بل كانت قصائده مليئة بالدم والمآسي والغضب ومع ذلك، لم يكن نادماً، بل عاش عمره مؤمناً بما قاله برتولد بريشت «إنها لجريمة أن تتحدث عن الأزهار الجميلة حين يكون هناك بشر يقتلون». وفي مقالته «النمور تتعلم الرسم»، يتطرق عدوان لفكرة الانتماء التي تستوجب من الإنسان أن يعيد النظر بقيمه المتوارثة، وامتلاك الجرأة على انتقاد هذه الموروثات التي تتنافى مع انتماءاتنا الفكرية، فليست هناك حقيقة ثابتة، وكل فكرة قابلة للنقاش وخاضعة لأكثر من احتمال، وقد أحدث هذا الكلام ثورة في عصر الحقائق الثابتة، إذ قاومها الفلاسفة الذين يدرّسون هذه الحقائق لتلامذتهم، مثلما قاومتها السلطات التي تريد أن تطمئن لثبات الحياة من حولها.

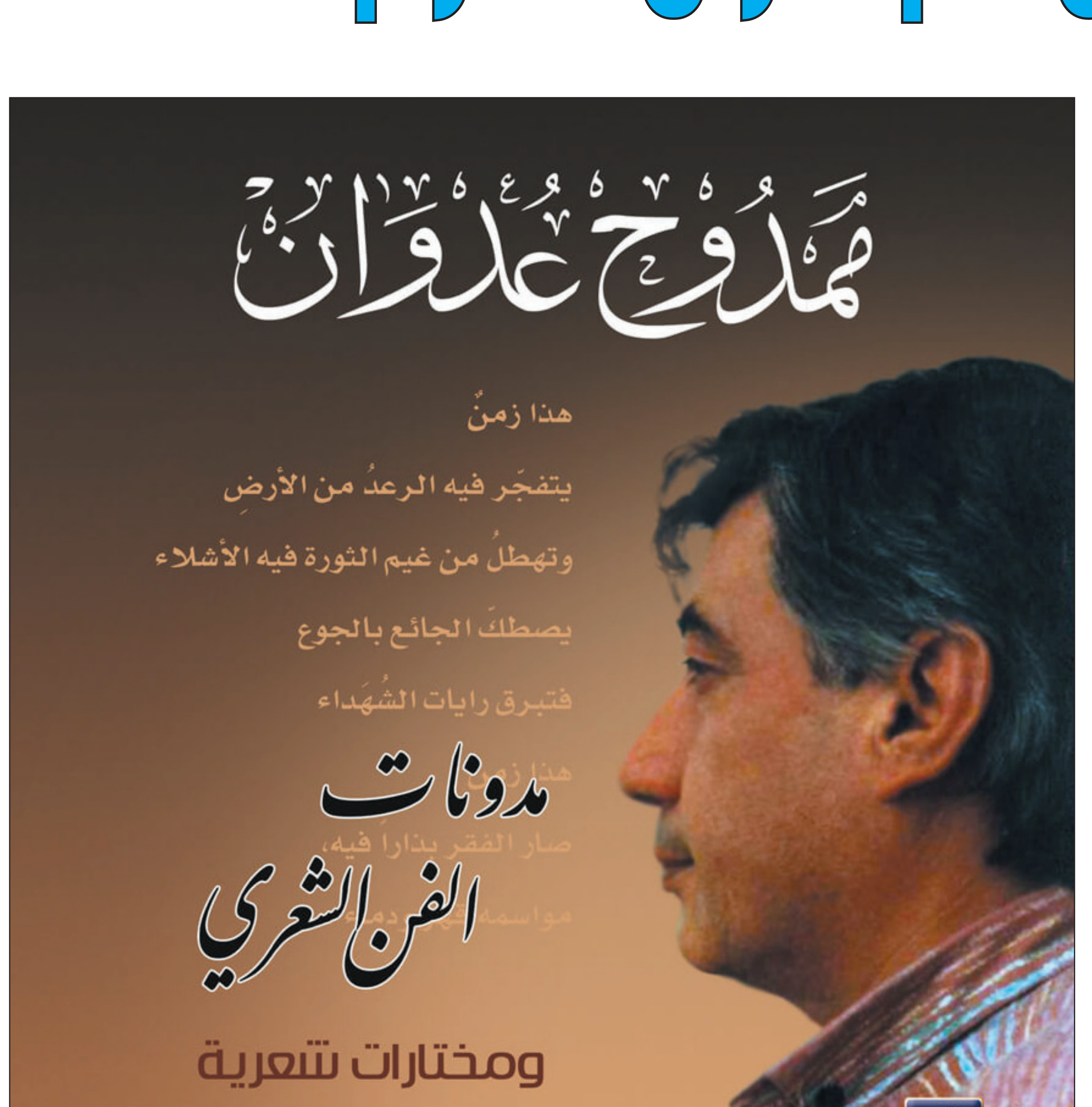
ويستشهد المؤلف بفكر الفلاسفة السفسطائيين الذين سعوا لتحرير الإنسان من الأعراف والتقاليد والقوى الخارجية، كما أشاروا إلى أن الإنسان هو الذي يصنع نفسه ومجتمعه بما يتلاءم وحاجاته، وإن المجتمع لا يقوم إلا على أساس العدالة والاحترام المتبادل، وأول من عارض فكرهم هذا وسخر منه «أفلاطون» سخرية مرة أساءت لمبادئهم التي لم يصلنا منها بسبب هذه السخرية إلا ما عبّر عنه أفلاطون في محاوراته، وهذا كان دلالة واضحة على أن التاريخ الثقافي لم يصلنا صحيحاً.

أما المسرح فقد كان عبارة عن طقس احتفالي يقدم المتعة والتسلية وتكريس الوضع السائد في العالم، حتى أن الصراع في المسرح كان يقوم على أفكار مجردة هي صراع الأضداد، ويحدد المؤلف مواصفات المسرح السياسي الذي يثير في الناس رفض الأمر الواقع، ويساعدهم على اكتشاف مساوئ الأوضاع السائدة من حولهم، وهذا ما يجعل المسرح وسيلة فضح وتحريض ضد العالم كما هو الآن، مسرح تحريض على الفعل وتعميق للوعي، وليس مسرح تنفيس عن الكبت والقهر، إنه المسرح الذي يخرج منه المتفرج مشحوناً بالرغبة في فعل شيء لتغيير الأوضاع المجحفة في هذا العالم.

ويؤكد المؤلف أن النمور بدأت تتعلم الرسم وتتعلم المطالبة بحقوقها دون أن تفقد قدرتها على الافتراس، كما أن اللوحات التي ستقدمها هذه النمور ستغير الكثير ليس في موضوعات الفن، بل في مقاييسه، فالرسم بالمخالب يختلف عن الرسم بالفرشاة الناعمة، فالرسم بالفرشاة مقولة فنية طرحها الصيادون والنمور غير ملزمين بها أو بالقيم الناجمة عنها، وأما القنيطرة ذلك الجرح النازف في الذاكرة والروح فيرسل إليها المؤلف كلمات عاجلة يقول فيها: أنا متعب وحزين وأنت دائي المزمن، وجوه الناس اللامبالية تنكأ جراحي، ولم أعد أدري ماذا أفعل بكل هذا الغضب والحزن، أكاد أمسك الناس أهزهم وأصيح في وجوههم، وقبل أن أفتح فمي تخنقني عيونهم، صرت أتوقع أن ينفجر غضبي من جبهتي، أنظر إلى العابرين فأراهم يحملون هزائمهم ويمضغون ذلهم كالقات، فلو أني أستطيع التصرف لعلقتك في أجفانهم وجعلتك قلقهم وأرقهم الذي لايهدأ.

وفي تأبين الأديب بوعلي ياسين، يقدم لنا صورة للمثقف الذي امتلك الجرأة أكثر من غيره في خرق الحاجز بين القول والكتابة، إذ بفضل وجود كتّاب مثل بوعلي ياسين، وغيره، كثير دبت الحياة في عقولنا وصرنا أقل حياداً تجاه العالم، وأكثر تهيؤاً للدفاع عن قناعاتنا في الحياة. ولأن بوعلي ياسين، مثله مثل كل كاتب حيوي مفكر ومتفاعل مع البشر، كان ابن الحياة، منخرطاً فيها، وكانت لديه الشجاعة والقدرة على أن يتطور ويراجع مقولاته ويجعلها أكثر التصاقاً بحرارة الحياة ومعطياتها، ذلك الرجل البسيط الذي كان يحلم أحلاماً عظيمة قد ذهب وظلت أحلامه، ومسؤولية من تبقى أن يصنعوا من هذه الأحلام مستقبلاً ويمنع الطغاة من تحويلها إلى كوابيس.

وفي رسالته التي يوجهها إلى الراحل سعيد حورانية، يستنكر موته الذي لم يمهله حتى يكمل رسالته، ويستحضر دماثة روح سعيد وفرحه الطفولي، فلا يجد إلا أن يسلّم بقضاء القدر في عزاء له أنه ما زال في هذه الدنيا من يبكينا فراقهم، ويشفعه بتساؤل عن دوام الحال وكم بقي من هؤلاء الأصدقاء.



ومضة

بين الواقع والخيال

«البعث الأسبوعية» ـ سلوى عباس

في الأدب يتداخل الواقع مع الخيال، ولا يمكن التعامل مع كل واحد منهما على انفراد، فعالم البشر الداخلي معقد، ويختزن كتلة متشابكة من الأوهام والوساوس والأحلام يرزح الإنسان تحت ثقلها، ما يجعلها تنعكس تلقائياً على حياته، وقد تشوهها وتعيد تشكيلها على نحو آخر، والكاتب ينظر إلى الحياة بكليتها، لا يستبعد شيئاً، وهذه الفكرة تحتاج إلى خيال ليس كي تُستوعب فقط، بل وأن تصاغ ثانية بتشريحها وتكثيفها، وإيصالها إلى الهدف مهما كانت عميقة، أو تشوبها مسحة فلسفية وبشكل عام، الخيال يذلل الكثير من إشكاليات العمل الروائي، ويجد لها الحلول، ويعطي الكاتب مساحة كبيرة من الحركة، فيما إذا أحسن استخدامها، فهل دور الكتابة أن تعكس الواقع وتصوره؟ أم أنها تسعى لما هو أفضل، وكيف يمكن لها أن تكون بناء لهذا الواقع المرتجى، بمعنى أننا لا نستطيع التعبير بواقعية فجة عن الواقع، لأن الواقع من التعقيد بحيث يختفي عن النظرة الأولى المسطحة، فعندما نتحدث عن التعقيدات الموجودة في الواقعية السحرية، نتساءل: أليس واقعنا سحرياً؟ أم لأننا اعتدنا على نوع من الرتابة اليومية لا نرى سحريته؟ وهذا السؤال يتضمن إجابته لأن حياتنا فيها الكثير من الغرائب والعجائب والصدف، ودور الكتابة أن تنظر إلى التفاصيل والخفايا الموجودة في الواقع، وإلى ما يحرك هذا الواقع من مخفيات.

ولكن، هل دور الروائي أن يتفوق على هذا الواقع روائياً؟ الجواب بالتأكيد: لا! صحيح هو مطلوب منه حكاية، لكن أيضاً مطلوب منه جانب فني تحققه اللغة التي هي أداة رئيسية ومهمة، فكما يعتبر الشعر حاملاً للغة ومطوراً لها فالرواية أيضاً حاملة للغة ومطورة لها. وهذا الكلام يُرّد عليه أحياناً بفكرة أن الرواية ليس هذا دورها، فهي ليست قصيدة، بل دورها أن تصل إلى الآخرين، ولو أن هناك خيارات، فالرواية ليست رواية واحدة، كما القصيدة ليست قصيدة واحدة، وبالوقت ذاته غير مقبول الجنوح باللغة والتحليق بالخيال. وإذا رجعنا للفلسفة، فإن الإنسان لا تنطبق عليه القاعدة المعروفة عنه بلجوئه إلى التفسير الأسطوري لمعرفة الظواهر الكونية، فكل أسطورة تفسر ما معنى المطر، ومن هو إله المطر، إله الخصب، وغيرها من الأجوبة على تساؤلات تدور في ذهنه، فكان يخلق تعبيراً يجعل دهشته أمام الشيء تفسيراً له، فالطفل مثلاً يشبه بنموه الحضارة، فكما مرت الحضارة بمرحلة الطفولة التي هي مرحلة الأسطورة، أيضاً الطفل يولد في مرحلة الدهشة التي مرت بها الإنسانية ككل، فدهشة الطفولة هذه غير موجودة في الكون، لكنها موجودة في تجدد الإنسان، والأسطورة في البداية هي الدهشة من الأشياء.

إن ما يميز رواية الخيال هو قدرتها على الخلق الإبداعي وتشييد عوالم جديدة واستنباط شخصيات مبتكرة نتيجة اشتغال تخييلي بحت، إذ يستخدم الكاتب – الراوي في هذا النوع من الأدب مجموعة من التقنيات الفنية لنسج الأحداث ورسم الشخصيات الخيالية ووصف ما تقوم به من أعمال، إضافة إلى التحكم بلغة الحوار وإدارة الأحداث، وهذه التقنيات بمجملها تشغل مساحة واسعة من الفضاء السردي، بينما لا يتدخّل مؤلف الرواية الواقعية أو الوثائقية – التاريخية في سير الأحداث، لأن كل شيء في الرواية واقعي وحقيقي وقائم على ملاحظات المؤلف وتأمّلاته. وفي السرد القصصي الخيالي يقوم المؤلف بتغيير المادة الخام وتحويلها ومزجها بالخيال لصياغة مادة جديدة تختلف عن المادة الخام إلى حد كبير، وباختلاق المواقف والشخصيات الوهمية والتلاعب بها وتحريكها حسب رؤيته. وبما أن المتخيل غالباً ما يدرك بوصفه نقيضاً للواقعي، فإنه يبدو من الأجدى محاولة مقاربة المتخيل انطلاقاً من تحديد مفهوم الواقع. وكما يبدو أن خير طريق لتحديد مفهوم الواقع هو إظهار اختلافه عن المفاهيم القريبة، وأهمها مفهوم الحقيقة، فالتناقض الظاهري بين هذين النوعين من فن الرواية يزول إذا عرفنا أن العمل الأساسي للمؤلف في كلا النوعين هو انتقاء المواد وهيكلتها وصياغتها فنياً وجمالياً. وإن كان ثمة اختلاف واضح في مدى استخدام عنصر الخيال، لكن ليست هناك حدود فاصلة بينهما، فهما من طبيعة واحدة.

أيمن أبو شعر: المنابر الإعلامية تتبنى الحداثة دون وضوح المصطلح

«البعث الأسبوعية» ـ أمينة عباس

لم تكن زيارته الأخيرة لدمشق إلا زيارة محبٍّ مشتاق للقاء محبوبته، يأتيها وقد فاض الحنين إليها، فيحطّ رحالَه لينهل من مَعين حبّها، وهي التي احتضنته على منابرها، يصدح بقصائده التي شكلت ظاهرة مهمة في المشهد الثقافي في السبعينيات إلى جانب أسماء شعرية كبيرة آنذاك ليعدّ من أشهر الشعراء الجماهيريين، وقد انتشر شعرُه الذي كان يلقى في الأمسيات عبر أشرطة التسجيل، كما أسس حينها مع رفاقه الفرقة الفنية «سبارتاكوس»، ولحَّن وغنّى العديد من قصائده مثل «المجد للصمود» وغيرها من القصائد على الكاسيتات التي انتقلت إلى مختلف بقاع العالم العربي، وإلى فلسطين التي صدرت فيها بعض مؤلفاته المنقولة عن هذه الأشرطة كديوانه «الصدى».

مؤخراً زار أبو شعر دمشق ووقّع فيها مجموعة من كتبه، وهو يقيم منذ سنوات عديدة في روسيا، وقد ساهم في حياتها الثقافية، وكان صديقاً لعدد كبير من الأدباء الكبار فيها مثل الشاعر رسول حمزاتوف والروائي جنكيز إيتماتوف «البعث الأسبوعية» التقت الشاعر أيمن أبو شعر وكان هذا الحوار.

تنتمي لجيل السبعينيات الذي ضم أسماء كبيرة في عالم الشعر مثل فايز خضور ونزيه أبو عفش، وغيرهما. أي خصوصية لتلك المرحلة التي أنجبت هؤلاء شعرياً وأنت منهم؟

لعل أهم خصوصية تلك المرحلة أنها كانت مرجلاً حقيقياً متوثباً، وكانت تمتاز بجيل من المثقفين المتوقدين بمعظم انتماءاتهم السياسية، وكان المجتمع عموماً في حالة غليان، رافضاً لنكسة حزيران، وكانت الأعمال الإبداعية في معظمها - شعراً ومسرحاً وقصة ورواية - تنطلق من هذا المحرق، وكان رفض نكسة حزيران يعني التمسك بتفاؤل مرهون بضرورة العمل لتغيير الواقع. هذا سياسياً واجتماعياً، ولكن المرحلة كانت متشظية نوعاً ما على الصعيد الإبداعي في إطار غزو الغموض باسم الحداثة التي كانت موجة تشبه التسونامي، ومعظم المنابر الإعلامية تتبنى الحداثة عموماً حتى دون وضوح المصطلح تماماً. لكن المحرق الحياتي شذب التوجهات المغرقة في الغموض إلى درجة أن بعض الآراء، الشائعة بقوة آنذاك، كانت تعتبر أية قصيدة مفهومة أو قريبة من ذهن المتلقي قصيدة مباشرة ومرفوضة، حيث سيطرت واقعياً فكرةُ الفن للفن أحياناً، لكنها سرعان ما تلاشت. وقد شذَّب الشعراء في نتاجاتهم الإبداعية هذه التوجهات وجعلوها أقرب إلى ذهن المتلقي، وهي خطوة بالغة الأهمية استطاع معظم شعراء السبعينيات تحقيقها بنجاح.

كنتَ وما زالت من أشهر الشعراء الجماهيريين فكيف توفق بين ما تريده كشاعر وبين ما يريده الجمهور؟

- في البدايات كنت ألبي تطلعات ورغبات الجمهور البسيط في البيئات الشعبية، وأكتب وألحّن قصائد وأناشيد معظمها يتسم بالبساطة وحتى المباشرة وهو أمر ضروري جداً لمثل تلك الأعمال التحريضية، ثم تطورت تجربتي وتطور معي الجمهور الذي بات معظمه يتابع الحركة الثقافية باهتمام والحقيقة أن الجمهور التقدمي أفادني وشذَّب تجربتي وعمَّقَ الطابع السهل الممتنع والتجديد النوعي عندي، مع الحفاظ على التواصل مع المتلقي. وكانت الظروف الإعلامية ضنينة جداً بالنسبة لي، ولكن انتشار قصائدي عبر أشرطة التسجيل ساهم في اتساع هذه الجماهيرية التي أعتز بها وأعتبرها وسامي التقديري، ويسعدني بشكل خاص أن أشرطة التسجيل هذه حملتني إلى معظم البلدان العربية، وخاصة الأرض المحتلة والسودان وتونس واليمن. ومع ذلك، يمكن القول أن هناك أنواعا متباينة لما يندرج تحت مصطلح الجمهور، فهناك جمهور لا يتمتع بذائقة جمالية عالية ضمن ظروف البيئة ومستوى الثقافة والاهتمامات، وهناك جمهور مثقف وواعٍ وحضاري وتقدمي، وأنا أتوجه بالدِّرجة الأولى إلى هؤلاء، وهم الأكثر فعالية وتأثيراً في مسار الحياة، ولهذا تتوافق إلى حد كبير تطلعاتي ومواقفي وتقييماتي مع مواقف وتطلعات هذا الجمهور؛ ومن البديهي أن تكون بعض الأعمال صعبة فنياً نوعاً ما على قسم من الجمهور، ويمكن تذليل هذا الأمر بقراءة متأنية وتكرار القراءة أحياناً.

جدل كبير دار في فترة من الفترات حول مشروعية أشكال القصيدة الفنية أما اليوم فقد اختفى هذا الجدل وتُركت الأمور معلقة دون الوصول إلى نتيجة. لماذا؟

- هذا الانعطاف أحدثه في البداية رواد التجديد الأوائل، كبدر شاكر السياب ونازك الملائكة وأدونيس وصلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي وأحمد عبد المعطي حجازي وآخرون بنسب متفاوتة، وكان منهجهم الجديد خطوة بالغة الأهمية لتطوير الشعر العربي شكلاً ومضموناً بعد أن رزح في أجواء مرحلة الانحطاط طويلاً، وكان التجديد منصباً بالدرجة الأولى على تجاوز نسبي لإيقاعات بحور الخليل العروضية دون الخروج عن الإيقاع الشعري والموسيقا الشعرية، مما أرهص لشعر التفعيلة بشكل واسع، ثم بدأت موجة الشعر النثري الذي يحمل تناقضاً في تسميته رغم أن نماذجه الناضجة قدمت تجربة جميلة تعتمد على اللقطة الموحية، وقد سبق هذه الحركة معارك حقيقية بين القديم والجديد استنفدت صراعاتها خلال بضع عشرات من السنين، واستمرت تشظياتها حتى فترات قريبة نسبياً بمفارقة مثيرة، فقد استعر الصراع منذ مدرسة الإحياء (محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم) التي اصطدمت بمدرسة الديوان (عباس محمود العقاد وإبراهيم المازني)، حتى أن العقاد اعتبر شوقي رجعياً ومتخلفاً وتقليدياً وفقير الموهبة في مقالته «شوقي في الميزان»، وكان نصير التجديد، لكنه بعد سنوات رفض الشعر الحديث وهاجم ممثليه، بل وهدد بالانسحاب من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب إن ساهم أحمد عبد المعطي حجازي وصلاح عبد الصبور في مهرجان الشعر في دمشق بقصائدهم الحديثة؛ والمثير في الأمر أن أحمد عبد المعطي حجازي نفسه رفض الشعر النثري واعتبره خارج الفن الشعري، لكنه لم يمنع نشره حين غدا رئيساً للجنة الشعر في المجلس الأعلى للفنون؛ ويبدو أن الصراع بين القديم والجديد كالموجة يعلو ويهبط في ظروف موضوعية تؤهل لذلك كل نصف قرن من الزمان تقريباً، وقد استنفذت الكثير من مبرراتها.

نفتقد اليوم للعلامة الفارقة في الشعر في ظل كمّ هائل من النصوص الشعرية التي تخلو مما هو مختلف. لماذا؟

- هذه سمة دائمة كالصفة المشبهة في البلاغة لمسار الأدب عموماً والشعر خاصة، حيث تتراكم ظروف معينة تبرز عدداً قليلاً من المبدعين، فيقبع آخرون لا يقلون إبداعاً وقدرة فنية في الظل، فقد كان هناك شعراء مجيدون زمن المتنبي الذي ما زال حتى اليوم علامة فارقة في السفر الشعري، ومع ذلك ظلّ اسم المتنبي وغابت في الظل الأسماء الأخرى. هذا المسار في تاريخ الأدب يحمل بعض الظلم حتماً لكنه مع ذلك لا ينطلق من فراغ.

كان أجدادنا يقولون إنه «يحق للشاعر ما لا يحق لغيره» فهل غرَّد بعض شعراء اليوم خارج السرب كثيراً بناء على هذه المقولة؟

- هذه المقولة تقصد بالدرجة الأولى بعضَ التجاوزات اللغوية والقواعدية للحفاظ على الوزن والقافية، بل وحتى بعض التجاوزات العروضية؛ أما من حيث التغريد خارج السرب فلهذه العبارة مقصدان: سلبي حين يكون تغريد السرب لصالح الوطن والمواقف المبدئية والإنسانية الجميلة، فقد يخرج الشاعر عن الأجواء غير الصحية إما نتيجة قناعات مجافية لمصالح الوطن والقيم الإنسانية والجمالية، أو لأسباب أخرى غير حميدة للأسف، وإيجابي حين يغرد خارج السرب عندما تنخدع غالبية الجماهير ضمن حملة إعلامية هائلة وظروف حصار قاسية ما يدفع لاتخاذ مواقف مجافية للحقيقة والقيم الإنسانية الأصيلة. عندها يكون تغريد الشاعر خارج السرب عملاً مبدئياً واعياً وضرورياً ويساعد في تحقيق العدالة، وبالتالي يكرس الموقف الجمالي الأصيل.

اليوم وفي ظل طغيان وسائل التواصل الحديثة كيف تجد حال الشعر الذي تروج له هذه الوسائل؟

- تسعون بالمئة على أقل تقدير من هذه النتاجات مجرد غثاء، ومعظم ما يُنشر للأسف في شبكة التواصل الاجتماعي يثير السخرية، خاصة عندما تأتي عبارات المديح والثناء على الكتابات المليئة بالأخطاء اللغوية والقواعدية والعروضية. العزاء الوحيد هو أن المرء يجد أحياناً نادرة نتاجات تستحق الاهتمام حقاً. من جهة ثانية، تلعب شبكة التواصل الاجتماعي دوراً هاماً في تواصل الأدباء والشعراء، وتكسر طوق العزلة الذي تفرضه الظروف السياسية وتراجع دور المؤسسات الإعلامية ودور النشر، وأنا شخصياً أقرأ الكثير من نتاجات زملائي الأدباء والشعراء عبر هذه الشبكة في حين كنت أقتني كتبهم بعد صدورها ببضعة أيام أو أسابيع حين كانت تصل إلى دمشق التي ظلت حاضرة الثقافة العربية، وفيها بل في سورية عموما حشد هائل من القراء الذواقة.

الشعر فن إنساني وقديماً كان له الدور الأول في حياة الناس فما الذي دعا البعض للقول إن زماننا ليس زمان الشعر؟

- هي غمامة تشكلت نتيجة أبخرة مرحلية معيقة وظروف طارئة، ولكن الشعر الجميل يستقطب الجمهور دائماً، والظروف المعيقة الطارئة بما في ذلك النتاجات المتردية لن تتمكن من تشويه الذائقة الجمالية عند المرهفين، حتى وإن حل الصقيع فالشمس تبقى ساخنة.

اتصفت أشعارك بالبساطة العميقة وصدق الكلمة فكيف نجحت في تحقيق هذه المعادلة؟

- انطلقتُ منذ البداية من خلال التواصل مع الجماهير التي كنت أذهب إليها حاملاً عودي لأنشد قصائدي في البلدات والقرى والأحياء الشعبية، فعايشتُ همومَ هذه الجماهير التي أنا واحد منها طبقياً، وكنتُ حريصاً على أن أجدد من جهة وأواكب عصري وأعمق من البنية الفنية وأن أكون مفهوماً في الآن نفسه من جهة ثانية، وربما تمكنتُ من تحقيق جانب من هذا الطموح، وخاصة في طرح أساليب جديدة ونوعية في فترة ساد فيها الحماس للغموض أحياناً، فقدمتُ الحلم في الزنزانة رقم سبعة التي أستخدم فيها الصفير ولغة حلمية هي عبارة عن تركيب حروف في إطار إيقاعي يناسب حالة حلم النائم: «هويا هويفطو طق» وقصيدة الصدى التي أستخدم فيها جهاز إيكو أثناء الأداء، فتظهر عبر الجهاز كلمات لم تكن في النص، ناهيك عن استخدام الإيقاعات المناسبة لتنويع المضامين في الإلقاء كما في قارع الطبل الزنجي، ويسعدني أن الجمهور تقبل ذلك بشكل رائع.

أيّ سر تحمله قصيدتك «قارع الطبل الزنجي» التي ما زال كثيرون يرددونها؟

- يبدو لي أن فرادة موضوع قصيدة قارع الطبل وبنيتها الفنية الإيقاعية لعبا دوراً كبيراً في انتشارها الواسع، فقد التقط الجمهور بسهولة تفسير رمزيتها، فهي تحكي قصة قارع طبل ذي بشرة سمراء داكنة مريض بالقلب يعمل في ناد ليلي مضطراً ليعيل أسرته، وبالتالي يبدو قارع الطبل هنا ممثلاً للأفراد والشعوب المضطهدَة، وتتنامى حبكتُها وتصاعدها لتفضح وتدين توجهين بغيضين: العنصرية واستغلال الإنسان للإنسان، ومن هنا يشعر القارئ بأن قارع الطبل هذا ليس غريباً عنه، وأنه يتعاطف معه في محنته، وسيقف القارئ حتماً ضد موقف صاحب النادي الليلي الذي يرى في الناس الذين يستغلهم مجرد بيادق وأدوات لخدمة أرباحه، ولهذا لا يعنيه موت قارع الطبل الزنجي، ويطالب بأن يستمر زبائنه بالرقص والشراب، واعداً بإحضار قارع طبل آخر: «فلنحضر قارع طبل آخر ولنمسح قطرات الدم»، ولفت نظري أنها أحدثت تفاعلاً عندما ألقيتُها في أحد المهرجانات في موسكو باللغة الروسية، وكذلك عندما ألقتها الشاعرة مزيا خيتاغوري باللغة الجورجية مما يشير إلى أن المحتوى الإنساني يلاقي الصدى المرتقب لدى مختلف الشعوب.

هل ما زلت تبحث عن القصائد الأجمل التي لم تُكتب بعد؟

- هذا ديدن المبدع عموماً، فحتى لو كتب الروائع سيبقى يبحث عما هو أورع. البحث عن الأروع هاجس المبدعين دائماً، وسيبقى كذلكّ.

والشعر صنو لشخصية الشاعر، وبوتقة وجدانه، ويحمل حتى ما يعايشه من أحاسيس متناقضة، وبهذا المعنى يحمل صفة الضرورة الملازمة للتعبير عن هذا المكنون، ولكن الشاعر يشذبه عندما يدرك أنه يتوجه في الواقع برسالة إلى الآخرين، وبهذا المعنى يمكن القول أن الشعر ضرورة وجدانية تتحقق كرسالة للمتلقي.

أحداث ومتغيرات كثيرة نمر بها اليوم فكيف يتعامل الشاعر فيك معها؟

- المهم ألا يفقد الشاعر البوصلة الرئيسية، وأقصد هنا الحس الإنساني الذي يميز بين المواقف الصحيحة والخاطئة، لذا سأجيبك بمقطع صغير من قصيدة الصدى التي تتحدث عن حرب تشرين التحريرية:

لن يدخل خوفٌ حنجرتي
لن أصمت في وجه الغيلانْ
فأنا من جُند سبارَتاكوسَ
أحاربُ ضدَّ المدعو إسكندر ذي القرنين
بفيتنام وتشيلي في بيسانْ
وأنا من يهتفُ لا
للريح القادمة من الغرب بكل زمانْ
فخذوني بالجِرم المشهود فإني
لا أنكر أني أعشقُ تربةَ هذي الأوطانْ
لن يقدر أحد أن يفقدني صوتي
لن يقدر حبل يلتف بعنقي أو سجانْ
إن كان الحُرّ بهذا العصر يُدانْ
فخُذوني للموت خذوني
خيرٌ لي أن أُشنق جسداً
لا أن يُشنقَ فيَّ الإنسان

خضعتِ كتاباتك الشعرية للعديد من الدراسات النقدية فهل أثّر النقاد على أسلوبك؟ وأين أخطأت هذه الدراسات وأين أصابت؟

- كانت معظم الدراسات مفيدة لي، خاصة تلك التي تناقش عمق التجربة والأسلوب الفني بموضوعية، وكنت أتجاوز بعض المقالات والعبارات التي تنم عن موقف مسبق، وهذا أمر طبيعي، إذ تخطئ بعض الدراسات في التعميم واختصار الشاعر في قصيدة أو حتى في مرحلة محددة وإهمال نتاجات قد تمثله فنياً أكثر بكثير مما تم تناوله، وأنا أعتبر ذلك عملية مونتاج غير نقية، والحقيقة أنني أفدت كثيراً من مقالات ودراسات موضوعية من الدكتور الشاعر راتب سكر والروائي رشاد أبو شاور والناقد عادل فريجات والشاعر شوقي بغدادي والقاصة الدكتورة نهى الحافظ والقاصة الدكتورة رنا أبو طوق والشاعر الباحث الدكتور وليد مشوح والشاعر عبد القادر الحصني والشاعر الدكتور جمال أبو سمرة والناقد عبد الله الشاهر وغيرهم، وإنني أرى في آراء الأدباء والشعراء والنقاد مؤشراً لتثبيت الجميل وتجاوز العابر.

إلى جانب الشعر كتبتَ المسرحية والقصة والمقالة وخضتَ غمار الترجمة والدراسات. اليوم لأيّ من هذه الأنواع الأدبية يميل قلبك أكثر؟

- ترتيب الأولويات يعطيك جواباً شافياً :١ - الشعر، ٢ - القصة، ٣ - المسرح، ٤ - الترجمة، ٥ -الدراسات والمقالات.

الشاعر اليوم إلى ماذا يحتاج بالدرجة الأولى؟

- يحتاج إلى الحب، فإن غاب عنه الحب يبدع في البحث عنه، وبحضوره يبدع في التعبير عن خلجاته.

الشاعر الصغير في زمن الحرب



«البعث الأسبوعية» ـ غالية خوجة

هل يولد الإنسان شاعراً بالفطرة؟ وهل للمورثات الجينية دورها مهما علت جذورها وجدودها؟ مهما تكن الإجابة، إلاّ أننا جميعاً نتفق أن الإنسان يولد نقياً، صافياً، له لغته الغامضة في شريط المورثات، وأتوقع أن مورثة الشعر - كما الفنون والعلوم الأخرى - تكون كامنة فينا، فإمّا أن يرويها الإنسان بالثقافة والمثابرة والمحاولات المتكررة، وإمّا أن يهملها لكنها مع الزمن تبرز بأشكال أخرى منها الإحساس الوجداني المتوزع بين محبة الفن والشعر والموسيقا والمسرح والرسم والقراءة وعمل الخير والرغبة في المعرفة والتعلم.

مواهب مختلفة الأعمار

المبصر للمشهد المتحرك في حلب يكتشف العديد من المواهب التي تحتاج لمزيد من الاهتمام، ومن مختلف الأعمار، فكم صادفت شابات ونساء ومنهن سيدات بيوت يكتبن ولا يقتربن من النشر أو الإعلان عن كتاباتهن؛ كما صادفت من هم فوق الخمسين والستين كتبوا القصائد ولم ينشروها؛ وأيضاً نصادف الكثير من الأطفال يمتلكون الموهبة، ومنهم الشاعر الصغير عصام محمود جنيد الذي عرّفني إليه الكاتب محمد جمعة حمادة في المركز الثقافي العربي بالعزيزية، في حلب.

أقلد عنترة بن شداد

عرّفني الطفل إلى نفسه بإصرار جميل، وتحدثنا قليلاً، وأخبرته بأني سأنتظره لحوار معه في مقر اتحاد الكتّاب العرب - فرع حلب وهكذا، زارنا مع أبيه محمود وأخيه جنيد، لأسأله: لماذا تحب الشعر؟ ومنذ متى تحفظه؟ فأجابني بطلاقة: أحب الشعر أقرأه وأحفظه، ومنذ كنت في الخامسة من عمري وأنا أكتب الشعر، وحتى الآن وأنا في الصف السابع، مدرسة معن بن زائدة، بالجلوم، كما أنني أحب أن أكون صحافياً.

وعندما سألته عن معرفته للبحور الشعرية كونه يكتب أقرب إلى تلك الموسيقا من النثر، أجاب: كلما قرأت قصيدة أحاول أن أكتب مثلها؛ وسماعياً، أجاري الوزن، أقلّد ما أقرأه، وأكتب، وأحفظ قصيدتي بعد قراءتها ثلاث مرات فقط.

لكل قصيدة حكاية

وعن أول قصيدة كتبها، قال: لن أنساها وعنوانها «أبا النور»، التي وجهها لأحد معلميه، وهو يستعجل في تعليمهم الإملاء والقواعد، وكانت لديه بعض الألفاظ غير المحببة، لذلك، كتب له:

«أبا النور فلا تعجل علينا
فإنا طلاب صغار يافعينا
لا ترانا شباباً، ونحن كالورد نابتينا
نعم فينا حميدٌ ولكن فينا الشياطينا».

لم أستطع إخفاء ابتسامتي خاصة وأن الطفل عصام يلقيها بقوة وخطابة وثقة، ثم يبتسم وأسأله: لكن هل ساعدك بعد ذلك معلمك، واكتشف أنك من الممكن أن تكون شاعراً؟ أجابني، لا، تمنيت لو أنه ساعدني، وتابع بسعادة: أكتب القصيدة الوطنية أيضاً، مثل «حلب أمّ الدنيا»، وأقول فيها:

«على ربوة وقفت شامخة
تروي قصصاً للأجيال
تروي قصة جدي وجدك».

وأضاف: هذه القصيدة كرمني عليها د. دارم طبّاع وزير التربية، وأثناء التكريم، فاجأته بقصيدة ارتجالية، فكرمني مرة ثانية، وذلك في كل من المسابقتين «حلوة يا بلدي»، و«حلوة يا مدرستي».

بين المعلقات والمقتطعات

الطفل الشاعر يحب المعلقات، لكنه لا يعرف الفرق بينها وبين المقتطعات التي أخبرني عن حبه لها أيضاً، لا سيما مقتطعات المضاض بن عمرو الجرهمي «وقائلة والدمع سكب مبادر»، وقصيدة عنترة بن شداد «أنا العبد الذي خبّرتَ عنه».

لا أعرف المتنبي والحمداني

أمّا ماذا يعرف عن المتنبي وأبو فراس الحمداني وسيف الدولة وشعراء حلب؟ فأجابني بأنه لا يعرف شيئاً، وسألته: هل تزور الحديقة العامة بحلب؟ وهل تلاحظ الكثير من المنحوتات الفنية المنصوبة تمثل رموزنا الشعرية والأدبية مثل أبو فراس الحمداني وخليل هنداوي؟ فأجابني بعدم معرفته بذلك، ولم ينتبه، ولم يوجهه أحد لذلك.

وبينما يتأمل في كلامي، قلت له: هل تحب القراءة والمعرفة والثقافة؟ فردّ: بكل تأكيد!! وأنا من رواد منتدى أصدقاء المركز الثقافي العربي بالعزيزية فأخبرته: قريباً سيكون لفرع حلب لاتحاد الكتّاب منتدى ثقافي أيضاً، وناد للأطفال، وآخر للشباب، وورشات عمل ودورات تدريبية للمواهب، ونأمل أن تكون أنت وجميع أطفال حلب وعائلاتهم معنا، كما أن لدينا في الاتحاد غرفة للمطالعة، فهز رأسه مبتسماً مؤكداً على المشاركة؛ وتابعت وأنا أهديه بعض الكتب: إذن، هل تعدني بمزيد من القراءة والاطلاع؟ فوعدني أن يبذل جهداً في هذا المجال، مضيفاً: أشكرك، فلم ينبهني أحد قبلك على هذه الأمور، وأعدك بضرورة القراءة في كافة المجالات.

رباعيات فيسبوكية

فاجأنا الطفل عصام جنيد أنه يكتب «الرباعيات»، فسألته: كيف؟ وما هي الرباعيات؟ ومن هو الشاعر المشهور بالرباعيات؟ ففوجئ هو أيضاً، وأجاب: لا أعرف، لكنني تعلّمت من «الفيسبوك» كتابة الرباعيات، وشاركت ما كتبته على رباعيات الفيسبوك.

الطفل في زمن الحرب

وعن معاناته وآلامه أثناء الحرب الإرهابية على سوريتنا الحبيبة، هو وأطفال جيله، أخبرنا بأن الآلام لا توصف، لكن الإرادة باستمرار تجعل الحياة أقوى، وحب الوطن أقوى، وفاجأني بإضافة: سيكون لي ديوان شعري بعنوان «الطفل في زمن الحرب»، أعبّر فيه عن الأحداث التي عشناها، وعن آلامنا ومعاناتنا وجراح هذا الوطن.

وفي الختام، اقترب جنيد جنيد، أخو عصام، ليقول: وأنا أحب أن أكون مذيعاً!! فدعوته لتجربة صغيرة عملية ليكون مذيعاً، ويجرب ذلك، وفي هذه الأثناء، تحادثت مع الأب محمود جنيد، ليخبرني كيف فوجئ بابنه عصام وهو يتلهف لقراءة الشعر، ويسمعه من خلال «النت»، ويحفظه، ويكتبه، متسائلاً: هل للوراثة علاقة بذلك؟ فجده وجد جده كانا شاعرين بالفطرة، أمّا أنا فلست بشاعر ولا أمه أيضاً.

مجاراة الروح.. في الأعمال الإبداعية للأطفال

«البعث الأسبوعية» ـ رامز حاج حسين

كان لي جد يفهمني من لغة الجسد الخاصة بي رغم أنه لم يدرس فرويد أو كيث أوتلي، ولكنه يعرف أن للروح محاولات للتعبير عن دواخلها من خلال تعابير معينة في فيزياء الجسد، كان يقول لي: «كلما شبكت يديك أمامي أعرف أنك مللت الحديث وتعقدت دروب الحكاية بيننا، وكلما رحت تعبث بجبينك فإن مسألة النقلة الأخيرة من لعبة الشطرنج بيننا لم تكن لصالحك أبداً». وقلما أخطأت فراسة جدي بي!!

في المسلسل الكرتوني الشهير توم وجيري كان هناك عدة لقطات تفضي إلى العالم الغيبي وعالم الروح والأرواح- سبع أرواح للقطة تتعلق بذيلها - ولوج عالم الأرواح والموتى وطلب العودة لأجل عمل نبيل والحصول على الصفح من الفارة — عداك عن رمزي الخير والشر على كتفي توم وقت التفكير في القضايا الكبرى.

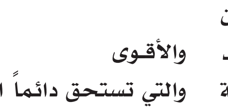
كان ذلك يبعث في نفوسنا الكثير من الدهشة والمرح، ويفتح ذائقتنا البكر على ألف سؤال وسؤال، وما زال البحث جارياً عن أجوبة مقنعة حتى اللحظة في محاولة لفهم جزئيات النفس، وما يعتمر في دواخلنا.

لماذا يكذب الأطفال؟ ولماذا يخافون من العتمة؟ كيف نعزز بواعث الشجاعة في دواخلهم؟ وكيف نتحكم بغرائزهم لتبقى ضمن الحدود الناظمة لأخلاقياتنا السورية؟ ثم كيف نستطيع، كأدباء وفنانين، ترجمة كل ما هناك من أفكار ومشاعر بطريقة تخلب لب الطفل المتلقي وتجعله يصغي بكل جوارحه لما نقول؟ الأمر ليس بالمستحيل.

كيفية مجاراة المشاعر والأحاسيس وخلجات النفس للأطفال في قصصهم أمر شائك ولكنه شائق، أمر كان مستحيلاً ولكنه بات في السنوات الأخيرة أمراً مغرياً لخوض غمار تجربة الولوج في تفاصيله، وعمل إسقاطات وتوريات تناسب الذائقة البكر البريئة للأطفال، لتمرير فكرة فلسفية هنا، أو قضية نفسية معقدة هناك، والمحاولة الحثيثة لتبسيطها لفهم الطفل بعيداً عن المصطلحات الطبية والنفسية المعقدة التي تمتاز بها دراسات علوم النفس وتحليلات العقل الباطن.

يرى كيث أوتلي - وهو عالم نفس وروائي كندي - أن معاني كلمة «حلم» عند شكسبير مرت بثلاث مراحل، فقد استخدمها في مسرحياته الأولى بمعناها الدالّ على سلسلة من الأفعال والمشاهد البصرية التي نتخيّلها في المنام، ثم استخدمها بمعنى أحلام اليقظة وبعد سنوات أشار بها إلى رؤية بديلة للعالم.

عندما طور يونغ نهجه المميز بشأن دراسة العقل البشري، وفي سنواته الأولى عندما عمل في مستشفى سويسرية مع مرضى مصابين بانفصام في الشخصية، وتوصل إلى أن علم النفس التحليلي هو القانون الاستنباطي لعالم الأحلام والأساطير والمأثورات الشعبية بوصفه الطريق الواعد للفهم والإدراك الأعمق للنفس البشرية، لم يكن يومها يدرك أن نماذج من هذا الفهم المعقد للنفس والروح البشرية والأفكار يمكن أن تتحول إلى أعمال إبداعية، قصص وكتب وأفلام رسوم متحركة، فالغوص في النفس البشرية والأفكار ومحاولة ترجمتها عبارات وصور تحليلية ليس بالأمر الهين، بل كانت لوقت قريب أمر مستحيل وصعب المنال، ولن ننكر المحاولات الجادة التي مرت في أدب وفن الطفل عبر امتداد العالم، ولكن برأيي فإن التجربة الأهم والأقوى



والتي تستحق دائماً النظر إليها بجدية واهتمام وتمحيص، هي تجربة الكاتب والمخرج الأميركي بيت دوكتر، فقد استطاع هذا الشاب ومنذ بدايات تعامله مع شركتي بيكسار ووالت ديزني كسر الحدود المألوفة للسائد والولوج إلى عوالم الطفولة النفسية العميقة.

في فيلم «مؤسسة الوحوش» كانت محاولته ربط رعب الصغار من الأماكن المظلمة في غرف نومهم والوحوش التي تتغذى مدنها ببطاريات الطاقة التي تُملأ من صراخ الصغار، محاولة رائدة وذكية لتفسير زاوية مهمة في نفسية الأطفال والعالم الخاص بهم وبلغة سيفهمها الأطفال وبطريقة بصرية رائدة، بين عالمنا وعالم الوحوش والمهرجين المرافقين لهم زاوية معتمة ما، باب خزانة صغير مثلاً يعتبر المدخل المشترك للعالمين.

في المحاولات اللاحقة، كان الفيلم الأعلى كعباً لدى النقاد هو فيلم (قلباً وقالباً) حسب الترجمة العربية لكلمة (Inside Out)؛ وفي هذا الفيلم بالتحديد برزت عبقرية الكاتب الشاب وخياله الخصب وغوصه العميق في فهم علم النفس وتبسيطه بصورة بصرية واعية للأطفال. الفيلم ببساطة يتحدث عن تجسيد للمشاعر المتصارعة والمتوائمة في عقل طفلة صغيرة تضطر للانتقال للعيش في مدينة جديدة بسبب ظروف عمل والدها، وحين تشاهد الفيلم فإنك ستغرق في تحليلات علم النفس وتجسيداته المتنوعة، فالغضب والاشمئزاز والسعادة والفرح والحزن باتت شخصيات فاعلة ومنفعة يدور من خلالها سيناريو العمل بطريقة فذة ومتقنة، لندخل بعدها في تصوير عالم الأحلام والتخيلات والأماني والآلام هذا العمل سيظل عملاً فذاً يتصدر النماذج العملية لتطبيقات علم النفس المبسط لحكايات الأطفال.

في آخر أفلامه «روح»، تخطى الكاتب بيت كل الحدود الإبداعية ليخرج لنا بتحفة فنية تتحدث عن الموت بطريقة عالية المستوى من الفهم والبساطة وتلك القدرة على التبسيط لأعقد التعابير النفسية.

في محاولتين جريئتين وخارجتين عن المألوف على سبيل الذكر لا الحصر، فإن العديد من النصوص التي نشرت في مجلاتنا السورية للأطفال كانت تحمل بذوراً فلسفية ونفسية عالية المستوى وتستحق الإشادة، وطبعاً هما على سبيل الذكر لا الحصر: نص «سكورة وملوح» للكاتبة ريم سبيعي، وما فيه من خيال خصب وتفسيرات فلسفية وغوص في فكرة تقبل الآخرن، وكان بنظري نصا ملهما يمكن البناء عليه بشكل قوي لتجارب أعمق وأشمل، ونص «الزائد أخو الناقص» ومحاولات الكاتب مهند صوان الولوج في عمليات الحساب والفهم النفسي للاختلاف من زاوية رياضية حسابية وأدبية، وغيرهما من النصوص المتشعبة والرائدة والمحاولات الجادة في هذا السياق.

هذه المحاولات تؤكد ماهو مؤكد بأن الرحم المعطاء لهذه الأرض ستظل زاخرة بالمبدعين القادرين على التقاط المفردات المتعلقة بأطفالنا وتقديمها لهم بما يتناسب وذائقتهم، كل حين.

(مع رفض الطالبين «الخاطبين»، أو خارج الحدود المعتادة، تبدأ المغامرة، حيث يمكنك دخول مغامرة جديدة، لأنك لا يمكن أن تكون مبدعاً إلا إذا تركت كل القواعد المحدودة والثابتة) جوزيف كامبل.

من مرثية الحب إلى ترنيمة الحوريات..
أقدم ٥ أغاني وأناشيد مكتشفة عبر التاريخ

لا شكّ أنّ الموسيقى بمثابة مرآة للتاريخ، فهي تحمل بين كلماتها وبين نوتاتها الموسيقيّة مجموعة غنيّة من المعلومات الاجتماعية والثقافية والدينية للشعوب القديمة، لدرجة أنّ أسلافنا وجدوا طرقاً لكتابة كلمات ولحن الأغنية على البرديات والألواح الطينية. وهناك خمس أغاني تمّ التعرف عليها من الترانيم المسيحية إلى نشيد أقدم أبجدية عبر التاريخ.

– ترنيمة فوس هيلارون (ترنيمة الضوء)

منشؤها اليونان وتعود إلى أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع الميلادي، وهي تعود لكاتب غير معروف ولكن يُعتقد أنّ مؤلفها هو القديس باسيليوس الكبير.

وتعتبر ترنيمة "فوس هيلارون"، أو كما يطلق عليها أيضاً اسم "ترنيمة الضوء". ثاني أقدم الترانيم اليونانيّة المسيحيّة بعد "أوكسيرينخوس هيمن"، ولا تزال مستخدمة على نطاق واسع من قبل الكنائس اليوم.

تمّ توثيق الترنيمة لأول مرة في الدساتير الرسوليّة التي كتبت في وقت ما أواخر القرن الثالث أو أوائل القرن الرابع الميلادي. ويعتقد أنّ القديس باسيليوس الذي عاش بين عامي ٣٢٩ و٣٧٩ ميلادية هو من ألف هذه الأغنية.

ولكن موسوعة "ويكي أوكسفورد" تقول إنّ الترنيمة كانت تُغنى في الصباح والمساء وقبل وجبات الطعام وعند إضاءة الشموع.

وجاء في كلمات الترنيمة: (هلولويا، هلولويا. أيها النور المبتهج بالمجد المقدس للآب الخالد، السماوي، القدوس، المبارك، يا يسوع المسيح.

بعد أن أتيت عند غروب الشمس، ورأيت نور المساء، ومن المستحسن في جميع الأوقات أن نحمدك بأصوات مبهجة).

– ترنيمة أوكسيرينخوس

نشأت في مصر ويعود تاريخها إلى نهاية القرن الثالث الميلادي تقريباً، لمؤلف غير معروف. وتعتبر ترنيمة أوكسيرينخوس أقدم ترنيمة مسيحية يونانية معروفة في التاريخ، وتمّ العثور عليها في في البردية رقم ١٧٨٦ من برديات أوكسيرينخوس المكتشفة في مصر في العام ١٩١٨، وتحتوي على الكلمات مكتوبة باليونانية واللحن مكتوباً بطريقة "نوتات" النظام الموسيقي لليونان القديمة، وهي عبارة عن مدح للثالوث الأقدس.

وتقول في كلماتها: (معاً كل عظماء الله، الليل والنهار فليصمتوا، لا تدع النجوم مضيئة، أيها الأب والأبن والروح القدس، فلتجيب كل القوى، والمجد لله إلى الأبد المعطي الوحيد لكل الأشياء الصالحة).

– مرثية سيخيلوس

تعود مرثية سيكيلوس بتاريخها إلى سنة ١٠٠ ميلادية تقريباً، وقد انطلقت من مدينة تراليس اليونانية القديمة (تركيا حالياً)، ومؤلفها هو سيخيلوس ويقال إنه كتبها لزوجته يوتيرب.

وعلى الرغم من وجود مقطوعات موسيقية أقدم منها، فإنّ مرثية سيخيلوس تعتبر أقدم أغنية تمّ العثور عليها بشكل كامل على الإطلاق، وقد عُثر على كلمات الأغنية منقوش فوقها نوتات اللحن المكتوبة بالنظام الموسيقي لليونان القديمة على شاهدة قبر في بلدة تراليس الهلنستية الواقعة حالياً قرب ولاية أيدن في تركيا.

والأغنية هي نوع من أنواع الحداد، ويعود تاريخ كتابتها إلى الفترة ما بين ٢٠٠ قبل الميلاد حتى العام ١٠٠ ميلادي، وقد كتبها شخص يدعى سيخيلوس على شاهدة قبر يعتقد بأنها لزوجته أو ربما والدته، لتخليد ذكراها، كما أرفقها بكتابة عبارة: " أنا شاهد قبر، صورة، وضعني سيخيلوس هنا كعلامة طويلة الأمد لذكرى بلا موت".

وبما أنّ النقش على الشاهدة واضح، لم يواجه الباحثون أي مشاكل في إعادة بناء لحن الأغنية أو كلماتها.

وقد تم اكتشاف مرثية "الحب الحقيقي" هذه لأول مرة في عام ١٨٨٣، وتغيرت ملكيتها عدة مرات؛ لكن يتم عرضها حالياً في المتحف الوطني بالدانمارك.

وتقول كلمات الأغنية في مطلعها: "أثناء عيشك لا يوجد حزن على الإطلاق، فالحياة موجودة فقط لفترة قصيرة، والوقت يتطلب ما يستحقه".

– ترنيمتي دلفي

تمّ العثور على أول ترنيمة دلفية كُتبت إلى الآله الإغريقي أبولو في مدينة دلفي في اليونان من قبل عالم آثار فرنسي في العام ١٨٩٣، وكل ما يعرف عن هذه الترنيمة أنها كُتبت في العام ١٣٨ قبل الميلاد، لكن للأسف فإن الجزء الذي يعطي اسم الكاتب غير واضح.

في حين أنّ ترنيمة دلفي الثانية هي أحدث قليلاً وقد تم تأريخها إلى عام ١٢٨ قبل الميلاد، وقد ظهر في نقش منفصل اسم الكاتب وهو ليمينوس.

ومع ذلك تشير الأبحاث الحديثة إلى أن كلا النشيدين قد كُتبا في نفس الوقت تقريباً في ١٢٨ قبل الميلاد لأداءهما في دورة الألعاب البيثية وكلتاهما مكتوبتين للآله الإغريقي أبولو.

وقد كتبت الأغنية الأولى على شكل كلمات منقوش فوقها نوتات اللحن المكتوبة بالنظام الموسيقي لليونان القديمة، بينما تستخدم الثانية الكلمات فقط.

ولسوء الحظ، كلتا الأغنيتين غير مكتملتين، لكن علماء الموسيقى بذلوا قصارى جهدهم لتجميع الأجزاء معاً لنتمكن من الاستماع إليها.

– أقدم أغنية في التاريخ "ترنيمة الحورية"

تعتبر ترنيمة حورية البحر، والتي تسمى أيضاً ترنيمة عبادة الحوريين، أقدم أغنية في العالم، وقد تمّ اكتشافها في خمسينيات القرن الماضي كجزء من من حوالي ٣٦ ترنيمة مكتوبة باللغة الحرانية لكن باستخدام الخط المسماري على ألواح طينية يزيد عمرها عن ٣٥٠٠ عام، وذلك في مدينة أوغاريت القديمة «رأس شمرا» في مدينة اللاذقية، في حين قامت الدكتورة آن درافكورن كيلمر، المتخصصة في علم الآشوريات بجامعة كاليفورنيا، بفك رموز تلك اللغة في العام ١٩٧٢.

واكتشف العلماء أنّ هذه الأغنية كانت تعزف على القيثارات، وهي آلات موسيقية كانت معروفة لدى الأوغاريتيين، وبأنها كانت موجهة إلى الإلهة نيغال التي كانوا يعبدونها في تلك الفترة وتمثل حارسة الحدائق والبساتين.

وتُعد الأغاني الحورية «أقدم أغاني في التاريخ»، وقد نُقشت بالكتابة المسمارية على ألواح طينية أثرية عُثر عليها في أوغاريت العمورية الكنعانية، وقد احتوى أحد الألواح الصلصالية المكتشفة على كامل كلمات ترنيمة الحورية التي تُمجد الآلهة «نيغال» آلهة البساتين ما جعل منها أقدم عمل موسيقي.

في عام ١٩٥٧ اكتُشف في أوغاريت ٣٦ رقيماً طينياً تحمل رموزاً تشير إلى أقدم تنويط موسيقي، وقام بفك رموز بعض هذه الرقم العالم السوري «راؤول فيتالي»، والذي قام بتحديد درجات السلم الموسيقي، حيث أطلق المنقبون على هذه المجموعة «ح» إشارة إلى اللغة الحورية التي كُتبت بها هذه الرُقم مكسرة باستثناء الرقيم«ح-٦.

وقد أشار عالم الآثار الأمريكي هانس غوتربوك إلى أن الكلمات الأكادية المكتوبة تحت النص الحوري هي نفس أسماء الأبعاد الموسيقية المذكورة في رُقم بلاد الرافدين، وقد حملت هذه التدوينات الموسيقية العائدة لعام ١٤٠٠ قبل الميلاد تضرعاً وابتهالا للآلهة «نيغال» آلهة البساتين والتي تسمى السيدة العظمى المثمرة، وقد وجِدت بشكلٍ شبه كامل ما يجعلها – بحسب المختصين – أقرب مثال للتدوين الموسيقي في العالم.

وقد تابع فيتالي ترجمته للنص الموسيقي نصاً كتابياً يحمل إرشادات لعازف آلة «الهارب» وكيفية عزف الترنيمة موسيقياً، وقد استطاع الموسيقار السوري مالك جندلي أن يضع الإيقاع والهارموني، ويعيد التوزيع الموسيقي، بعد أن حوّله إلى عمل فريد بعنوان« أصداء أوغاريت»، ثم قدم مقطوعاتها برفقة الأوكسترا الفلهارمونية الروسية، وذلك في عام ٢٠٠٨، حيث تدور فكرة النص الموسيقي، حول ابتهال يتحدث عبر أنشودة حزينة عن زواج إله القمر «يرخ» من الآلهة «نيغال» والذي لم يسفر عن إنجاب، فشعرت نيغال أنها ارتكبت إثماً في حياتها تُعاقب بسببه، فراحت تتضرع إلى الآلهة وتقول كلماتها المدونة بأسلوب السلم السباعي الموسيقي:

سأرمي عند قدمي الحق (أو قدمي عرشك المقدس) خاتم رصاص
سوف أتطهر؟
وأتغير من بعد الخطيئة
لم تعد الخطايا تغطيها ولا حاجة أكثر إلى تغييرها
قلبي مطمئن بعد أن أوفيتُ نذري
سوف تعزني مولاتي
ستجعلني عزيزاً على قلبها
فنذري سيغطي ذنوبي
وسيحل زيت السمسم بدلاً مني
في حضرتك اسمحي لي
إنك تجعلين العاقر خصيبة، والحبوب تعلو صعوداً
إنها الزوجة التي ستحمل الأطفال إلى أبيهم.
هي التي إلى حد الآن لم تُعطِ أطفالاً تحملِهم.

بوسع المصابين بعرق النسا أن يناموا
بهدوء دون الشعور بالألم.. إليك الطريقة!!

يعاني أولئك المصابون بعرق النسا من صعوبة النوم بشكل خاص لما يسببه هذا المرض من ألم لا يطاق يتزايد أثناء الحركة في السرير. مع ذلك من الممكن أن تحظى بنوم خال من الألم حتى لو كنت تعاني من عرق النسا؛ وذلك باتباع عدد من الإرشادات التي ينصح بها الأطباء.

ما هو عرق النسا؟

في البداية دعونا نتعرف أكثر على "عرق النسا": ينتشر هذا المرض على شكل ألم يمتد على طول العصب الوركي (الذي يتفرع من أسفل الظهر ممتداً إلى الوركين والأرداف والساقين).

وينشأ من التهاب جذور الأعصاب في أسفل الظهر؛ مما يؤدي إلى انتشار الألم على طول الساق. وعادة ما يؤثر على جانب واحد فقط من الجسم.

لماذا يزداد ألم عرق النسا سوءاً أثناء النوم؟

قد يجد المصابون بعرق النسا صعوبة بالغة في النوم، ووفقاً لما ورد في موقع Greatist الأمريكي، فهذا يرجع للأسباب التالية:

الاستلقاء قد يؤدي إلى زيادة الضغط على منطقة أسفل الظهر.

بعض أوضاع النوم قد تؤثر على العصب الوركي.

الألم قد يبدو أكثر قوة لأن جسدك بحالة استرخاء ولا يوجد ما يلهيك.

أفضل وضعيات النوم لألم العصب الوركي للحصول على نوم هانئ والتخفيف من آلام عرق النسا ليلاً، ينصح باتباع ما يلي:

١. ضع وسادة بين ركبتيك أثناء نومك

وضع وسادة بين الركبتين أثناء النوم يساعد على بقاء العمود الفقري والحوض في وضع مريح أثناء النوم.

الطريقة: استلق على جانبك غير المصاب بعرق النسا.

اثنِ ركبتيك قليلاً.

ضع وسادة رقيقة بين ركبتيك.

ضع وسادة صغيرة أخرى بين خصرك والمرتبة في حال وجود فراغ بينهما.

٢. نَم على جانبك

النوم على الجانب يساعد على تخفيف الضغط على العصب الوركي وتخفيف الألم

الطريقة: استلقِ على جانبك غير المصاب بعرق النسا.

ضع وسادة صغيرة بين خصرك والمرتبة لمزيد من الدعم.

٣. نم على ظهرك وضع وسادة تحت ركبتيك

هذه الوضعية رائعة لتوزيع الوزن بالتساوي وتخفيف الضغط على العمود الفقري. وتساعد أيضاً على إرخاء عضلات الأرداف والحفاظ على الانحناء الطبيعي لعمودك الفقري.

الطريقة: استلقِ على ظهرك.

ضع وسادة تحتَ رأسك.

ضع وسادة أخرى تحت ركبتيك.

أرخِ كعبيّ قدميك على المرتبة.

٤. جرب النوم على الأرض

الأسطح اللينة قد تؤدي إلى انحناء العمود الفقري. لذا، إذا لم يكن لديك مرتبة صلبة، فقد تضطر إلى النوم على الأرضية.

الطريقة: ضع سجادة تخييم أو يوغا على الأرض.

اختر وضعية النوم المفضلة لديك، واستمتع بنوم هانئ.

٥. أخبار غير سارة لمن ينامون على بطونهم

النوم على البطن قد يسبب انحناء العمود الفقري لأسفل باتجاه المرتبة وهذا يؤدي إلى ضغط إضافي على المفاصل والعضلات.

قد لا تضطر إلى التخلي عن النوم على البطن للأبد. ولكن من الضروري أن تجرب وضعية أخرى حتى يزول الألم أو قد تضطر لشراء مرتبة مصممة خصوصاً لمن ينامون على البطن.

أفضل وضعيات النوم للنساء الحوامل المصابات بعرق النسا

يعتبر عرق النسا من أعراض الحمل الشائعة ولكن لا داعي للقلقِ! فلا يزال بإمكانك الحصول على قسط من النوم المريحِ ليلاً.

يوصي الأطباء عموماً بأن تنام النساء الحوامل على الجانب والجانب الأيسر أفضل لأنه يسمح بالتدفق الأمثل للدمِ من الوريد الكبير الموازي لعمودك الفقري (المعروف أيضاً باسم الوريد الأجوف السفلي). والنوم على الجانب الأيسر يخفف أيضاً من الضغط على الكبد والكليتين.

ولحسن الحظ، النوم على الجانب هو في الأصل وضعية رائعة للمصابين بعرق النسا. كذلك فقد وجدت الدراسات أن النوم على أي من الجانبين آمن لكِ ولطفلك، ولذا يمكنكِ النوم على الجانب المريح لك.

ويمكنك أيضاً إضافة وسَادة أو منشفة تحت خصرك أو بين ركَبتيك، واستخدام وسادة تدفئة لمساعدة عضلات جسدك على الاَسترخاء قبل النوم.

بعض الطرق الأخرى لتحسين النوم إذا كنت مصاباً بعرق النسا

حافظ على استقامة جسدك.

احرص على عدم ثني عمودك الفقري أو الأرداف إلى الجانب كثيراً.

جرب تمارين اليوغا أو التمدد الخفيفة قبل النوم، إذ من الممكن أن تخفف من الضغط على الأعصاب. ولها أن تساعد في إرخاء عضلات الجسم أيضاً.

غيّر الفراش الذي تنام عليه. جرب فراشاً متوسط الصلابة إذ تُظهر الدراسات أنه الأفضل لتعزيز صحة العمود الفقري.

أحضر قطعة من خشب الأبلكاش، وضعها بين المرتبة وقاعدة السرير لتضيف طبقة ثابتة لدعم الجسم.

اجعل الاستحمام جزءاً من روتينك. إذ إن الحمام الدافئ قد يساعدك على تهدئة آلام منطقة أسفل الظهر، فضلاً عن فوائده للصحة النفسية.

بالنسبة للحوامل: احصلي على وسادة للجسم أو وسادة حمل، لتحميكِ من التقلب أثناء النوم وقد تكون مفيدة للغايَة لمحبي النوم على البطن أيضاً.

الالتزام بعادات نوم ثابتة له أن يساعدك على تحسين نومك بشكل عام حاول أن تنام في الوقت نفسه كل مساء في درجة حرارة مريحة، وامتنع عن تناول الكافيين قبل النوم.

علاج عرق النسا

عند الشعور بالخدر في الساق، أو ضعف الساق أثناء الحركة، معٍ استمرار آلام عرق النسا، ينبغي زيارة الطبيب فوراً.

في أغلب الأحيان، لا يحتاج علاج عرق النسا أكثر من الراحة، وتعتمد فترة الراحة على شدة الحالة. ويلجأ العديد من الأطباء إلى وصف بعض الفيتامينات لتغذية الأعصاب، بالإضافة إلى المسكنات، ومضادات الالتهابات غير الستيرويدية حتى تستقر الحالة.

في الحالات المتقدمة قد يتم اللجوء إلى التدخل الجراحي لإزالة الضغط عن العصب أو لتوسيع القناة العصبية، وهذا في حالة فقد الشعور بالساق، أو ضعفها، وفي حالة فقدان التحكم في وظيفة الأمعاء والمثانة.

«متلازمة الطفل الأوسط».. شعور بالإهمال وغياب الشخصية والتورط في مشكلات الكبار والصغار

دائماً ما يشعر الطفل الأوسط في العائلة بكونه المنسيّ والمهدور حقّه بين أشقائه، فهو غالباً لن يضاهي إنجازات الطفل البكر، كما لا يستحوذ على الاهتمام والتدليل كالطفل الأصغر وآخر العنقود. وعلى العكس يشعر الطفل الأوسط في العادة بالاستبعاد والإهمال وسوء الفهم، وغالباً ما يُشار إلى هذه الظاهرة في علم النفس السلوكي باسم "متلازمة الطفل الأوسط".

تأثير ترتيب الطفل على بناء شخصيته

يؤثر ترتيب ميلاد الطفل إلى حد كبير على تطور شخصيته، فالأطفال الأكبر على سبيل المثال يميلون إلى أن يكونوا أكثر مسؤولية واستقلالية، لديهم شخصية قوية وميول صارمة نحو الكمال، ربما لأن الآباء تعاملوا معهم لأول مرة بحرص بالغ في تجربتهم الأولى في التربيّة، وكرّسوا القدر الأكبر من اهتمامهم لهم.

من ناحية أخرى، يتصرف الآباء براحة أكبر، وربما بشيء من الاستهتار والتدليل مع الأشقاء الصغار، لذلك يميل هؤلاء إلى أن يكونوا أكثر حباً للمرح وعدم الجدية ومع ذلك، نظراً إلى أنهم يحاولون دائماً اكتساب الثقة مثل الأشقاء الأكبر سناً، فقد يتصرف آخر العنقود بشكلٍ لافت للانتباه، ويبحث عن الاهتمام والتأثير فيمن حوله، ليصل إلى نفس المكانة.

وبين هذا وذاك يتورط الطفل الأوسط في حالة من الاستبعاد وعدم الانتماء، فهو لا يتم الإشادة به مثل أخيه الأكبر، ولا يتم تدليله مثل شقيقه الأصغر، ما يجعله يشعر بالإقصاء أو الإهمال.

تقول أخصائية التربية ميري والاس لمجلة "أهل" التربوية، "أخبرني طفل أوسط يبلغ من عمره ٦ سنوات مرة: في الليل يساعد أبي أخي الأكبر في أداء واجباته المدرسية، بينما تنشغل أمي بتجهيز أخي الرضيع للنوم وأظل أنا أجلس في الردهة في انتظار أن يلاحظني أحد". نتيجة لهذه التجارب يمكن للطفل الأوسط أن يشعر بالغيرة والغضب ويردد العبارة الشهيرة "أنا لا أحظى باهتمامٍ كافٍ"، على حد قولها.

سلوكيات الطفل الأوسط لتعويض الإهمال

يعوّض الطفل الأوسط نقص الانتباه من أسرته بالتصرُّف إما بشكل متمرّد ولافت للانتباه، أو الاهتمام بشكل بالغ برضا الناس وموافقتهم له؛ معتمداً إلى حدّ ما على شخصية إخوته الأكبر سناً. على سبيل المثال، إذاً كان الأخ الأكبر منظماً ومسؤولاً فقد يتمرد الطفل الأوسط لجذب بعض الانتباه بإثارة الفوضى، أو يبالغ في التنظيم بحيث يكتسب موافقة الأسرة ومباركتها لسلوكه.

ويقول أخصائيو التربية وسلوكيات الأطفال "غالباً ما يتمادى الأطفال الأوسطون لجذب الانتباه بشتى الوسائل الممكنة، ولهذا السبب يختارون قصّات الشّعر الغريبة، أو يصبحون متعصبين لفريق فني صاخب، لأنهم يحتاجون إلى رسم شخصية سيئة أو فوضوية بعض الشيء لأنفسهم للفت الانتباه والاهتمام ورعاية من حولهم".

علاقات خارج الأسرة وصداقات قوية

كما أن الطفل الأوسط غالباً ما يكون أكثر حنكة وتأقلماً وتقبُّلاً للأوضاع، إذ يتنازل بشكل متواصل طوال حياته تقريباً. وتقول أستاذة الطفولة واستشارية الأسرة ميشيل مايدنبرغ لمجلة "أهل": "في كثير من الأحيان ينتهي الأمر بالطفل الأوسط إلى الإذعان لرغبات الإخوة الأكبر واحتياجات الإخوة الأصغر، وغالباً ما يُعطَى ملابس شقيقه الأكبر أو يتشارك ألعاب الأخ الأصغر".

وتلفت الخبيرة أن ذلك يدفعهم إلى البحث عن العلاقات خارج الأسرة؛ لذا غالباً ما تكون لديهم دوائر اجتماعية كبيرة وصداقات متماسكة.

ويميل الأطفال الأواسط إلى التمسك بنفس الميول المتمردة و/أو المُرضية للناس من حولهم حتى خلال مرحلة النضج والبلوغ. وإذا شعر الطفل الأوسط بالإهمال طوال فترة طفولته فقد يعاني من مشاكل الاعتماد على الذات أو الثقة بالنفس.

قد يكون هناك جانب مشرق

في الواقع، قد يكون الطفل الأوسط بمثابة أخ أكبر وأخ أصغر بالنسبة لأشقائه. ويمكنه أن يستفيد من الوضعين؛ فهو لديه شقيق أكبر منه يتطلّع إليه ويتعلم منه. قد يريه الشقيق الأكبر كيف يربط حذاءه، أو يركب الدراجة. كما يتعلّم منه بالملاحظة كيفية تجنب العديد من الأخطاء السلوكية التي يرتكبها مع والديه. وإذا ما نضج وهو يتعلم بهذا الشكل من الطفل الأكبر، فسيساعده ذلك على النجاح والنمو بشكل أسرع.

كذلك يستفيد الطفل الأوسط أيضاً من وجود أخ أصغر، حيث يمكن للصغير أن يتطلع له ويعامله بمثابة القدوة، فيبادله الكثير من الحب والمودة. وبالتالي يتعلم الأوسط من رعاية إخوته الصغار والحرص على سلامتهم أثناء اللعب مثلاً، على أن يكون مراعياً وعطوفاً ومُتحملاً للمسؤولية.

دور الأسرة

مثلما يحظى الطفل البكر بالانتباه والرعاية البالغين، يحتاج الطفل المولود في الوسط إلى تجربة القبول والانتماء في أسرته لكي لا يشعر بالغيرة وعدم الأهمية.

ويوضح الخبيران كليف إيزاكسون وكريس راديش في كتابهما المشترك "تأثير ترتيب الولادة" بعضَ الخطوات للتعامل مع متلازمة الطفل المتوسط:

- لا تهملهم:

يقول الكتاب إنه ينبغي منح الطفل الأوسط الاهتمام الكافي حتى لا يشعر بالحاجة إلى لفت الانتباه وإثارة الفوضى لتحقيق الاعتراف ممن حوله. حيث يضطر الطفل أحياناً إلى ارتكاب الكوارث من أجل الشعور باهتمام أهله، حتى وإن كان اهتماماً سلبياً من عقاب ونحوه.

- الوقت الخاص:

اسأل طفلك الأوسط كيف كان يومه؟ واقضِ بعض الوقت بمفردك معه. وحدد موعداً في التقويم حتى يعرف أنه وقت خاص وثابت. فمن خلال التركيز على الطفل الأوسط سيشعر بالاطمئنان أنه لا يقل أهمية عن إخوته.

- الاهتمام بإنجازاته الصغيرة:

هناك ميل لدى الآباء لعدم الشعور بالانبهار والمفاجأة بإنجازات الطفل الأوسط، لأنهم اختبروها بالفعل في الطفل البكر. لكن الاعتراف بإنجازاته الفردية ودعمها وحتى التأكيد له أنها تستحق الاحتفال يجعله يشعر بالقيمة والانتماء.

- تشجيعه على الاختلاف:

لا ينبغي أبداً أن يقارن الآباء أبناءهم بأحد، حتى وإن كان يقارنهم ببعضهم البعض، وخاصة الطفل الأوسط. شجِّعه على أن يكون متفرداً، ولا تطالبه بتقليد أخيه الأكبر، سواء أكان ذلك أكاديمياً أم رياضياً أم فنياً.

- التواصل الصادق غير المشروط:

حافظ على التواصل المفتوح مع أطفالك، وخاصة الأوسط.

فحتى لو شعر هذا الطفل بالتجاهل فقد لا يقول أي شيء. لتصحيح هذا الأمر، تحدث معه بوضوح عن كونه الطفل الأوسط، وما شعوره تجاه الأمر. وإذا ما كان هناك أمر بارز يستحق صب الانتباه على واحد منهم -مثل دخول الطفل الأكبر مرحلة الثانوية مثلاً- تجدر مصارحة الطفل الأوسط بالأمر، ومطالبته بأن يعبّر عن رغبته في الاهتمام إذا ما شعر بالإهمال.

كلمات متقاطعة

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1	
		■									1
■					■						2
	■						■				3
		■					■				4
			■					■			5
		■				■			■		6
				■						■	7
					■						8
	■				■						9
		■					■				10
	■							■			11

أفقي:

١- ملحن سوري راحل لحن لكبار المطربين العرب - من الأقارب
٢- موسيقي أندلسي أضاف الوتر الخامس على العود - طائر من الطيور القواطع
٣- البارحة - أسكته بالحجة والبرهان اليقين
٤- منازل - حجرة - علامة موسيقية
٥- حرف ناصب - أكترث /م/ - حصن
٦- حرف جر - في العود - أساس /م/
٧- مصادر التزويد بالأشياء - أمنيات
٨- بيوض السمك - يعارض أوعكس (يجيز ويبيح)
٩- شجاعتها وشدتها - مقلة
١٠- فتل - (بتول) مبعثرة - للتمني
١١- ود /م/ نهايات

عمودي:

١- ممارسات تجارية يتنافس فيها المشاركون - أحرف متشابهة
٢- جبل في لبنان يعرف باسم (جبل الشيخ) - أماكن
٣- قمار - أوقات تتكرر خلال السنة يبرز فيها نشاط معين
٤- نعم (بالروسية) - تقام في الموانئ لتهتدي بها السفن
٥- مفاجئ - عكس (الأول) /م/
٦- مفرد (فراهيد) - حسم في الأمر
٧- أبطأ الحيوانات وأطولها عمراً - يسبح
٨- كراهية شديدة - الاسم القديم لمدينة (اللاذقية)
٩- خاصته - رجل (بالأجنبية)
١٠- خرج عن طاعة والديه ولم يبر بهما - خيالة
١١- معجم عربي ألفه (المرتضى الزبيدي)

الحل السابق

أفقي:

١- السليلوز - دو
٢- لياقة - إكراه
٣- زفاف - الحرفة /م/
٤- أسيج /م/ - نقيب
٥- أو - ستاندال /م/
٧- المساحة
٨- جنة - نتحمل
٩- المحرم - والد /م/
١٠- ضمنها /م/ - كيل
١١- روى - الكرامة

عمودي:

١- الزجاج - جائر
٢- ليفيوس - نلهو
٣- سائس - داهمنا
٤- (ل ق ف ا ل) - همَّ
٥- هي/م/ - أيمن رضا
٦- هند رستم
٧- وافقن - أح - لك
٨- زكريا أحمد
٩- رحبت - أكللهُ/م/
١٠- دال - سب - أيم
١١- وهاد - قيلولة

الكلمة المفقودة

ملامي النوى في ظلمها غاية الظلم ... لعل بها الذي بي من السقم
فلو لم تَغَرْ لم تزو عني لقاءَكم ... ولو لم تردكم لم تكن فيكم خصمي
أمنعمةٌ بالعودة الظبية التي ... بغير وليٍّ كان نائلها الوسمي

ظ	خ	ا	ا	ة	ل	ب	ن	ك	ت	ب	غ
ل	ص	ي	ل	م	ق	ا	ف	ن	م	ي	ا
م	م	ذ	ن	ع	ا	ل	ي	ل	ع	ل	ي
هـ	ي	ل	و	ن	ء	ع	ك	ب	ن	ت	ة
ا	ق	ا	ى	م	ك	و	م	غ	ا	ر	ل
ل	ث	م	ر	ا	م	د	ل	ي	ء	د	ا
ي	م	س	و	ل	ا	ة	م	ر	ل	ك	ل
ن	ا	ك	ا	هـ	ب	م	م	ف	هـ	م	س
ة	ي	ب	ظ	ل	ا	ل	ل	ي	ا	ن	ق
ف	ت	ر	غ	ت	ف	ا	ظ	ي	ل	و	م
ل	ز	م	ل	م	ل	م	ل	ي	ت	ل	ا
و	و	ي	ن	ع	م	ي	ا	ل	و	ل	و

المفقودة مؤلفة من من ستة أحرف:
من أسماء الزهور

الحل السابق: جيرون

الأبـــراج

الحمل: تتركز أمامك فرصة جيدة لتحقيق نقلة نوعية في حياتك المهنية ويكون الحظ إلى جانبك في كل المساعي والجهود. عاطفياً: تصبح الأجواء أكثر لطافة وارتياحاً وتسهم مبادراتك في إعادة المياه إلى مجاريها الطبيعية.

الثور: بعد فترة من التقلبات تتحسن الظروف وتزول العوائق من طريقك وتكون قادراً على متابعة أعمالك بكل ثقة وارتياح بعيداً عن أية منغصات. عاطفياً: تكون الأيام القادمة واعدة وجميلة بسبب تعاطف مواقع النجوم مع برجك فكن مستعداً للحب والسعادة.

الجوزاء: أنت قادر على تخطي العقبات بالحكمة والمعالجة الموضوعية وسوف تلاقي دعماً معنوياً ومادياً من المقربين. عاطفياً: إذا كنت عازباً فسوف تدخل مرحلة جديدة ويجذبك أحدهم وتتحرك مشاعرك تجاهه.

السرطان: تتسارع الأحداث وتكون الفترة القادمة مناسبة لتعويض ما فاتك وعليك اتخاذ قرارات حاسمة ومصيرية لها نتائج إيجابية على مستقبلك. عاطفياً: تعيش لحظات جميلة وتبدو متحمساً على الارتباط من جديد.

الأسد: كثف تحركاتك في الأيام الأكثر حظاً فأنت قادر على قلب المعادلات لصالحك وتحقيق ما تصبو إليه في حياتك المهنيةعاطفياً: حاذر الانفعال والتسرع ولا تتخذ مواقف غير مدروسة قد تندم عليها لاحقاً.

العذراء: الأجواء إيجابية وبناءة وتتيح لك تحقيق أهدافك وتطلعاتك وعليك أن تستثمر الفرصة لإحراز التقدم والنجاح والأرباح. عاطفياً: لا داعي لإثارة النقاشات الحادة بشأن أمور ثانوية وحاول إضفاء جو لطيف وحميم على علاقتك مع النصف الأخر.

الميزان: تبدو متحمساً لقرار أو خطوة جريئة بعد حصول تطورات غير متوقعة في ميدان عملك، واتبع حدسك فالحظ إلى جانبك. عاطفياً: ابحث عن التوازن والاعتدال ونظم جدول أعمالك ولا تلته عن واجباتك تجاه من تحب.

العقرب: لا تبعثر طاقتك ووجهها نحو هدف محدد كي تحقق النجاح الذي تصبو إليه والأيام القادمة ستكون غنية بالحظ والمكاسب عاطفياً: علاقتك قد تكون عرضة للتقلبات نتيجة ظروف مربكة لكن الأمورستعود إلى طبيعتها في القريب العاجل.

القوس: يحمل إليك الشهر القادم انشغالات متنوعة ومن المستحسن أن تبدأ يومك باكراً وتضع جدولاً زمنياً لكافة التزاماتك تجنباً لأي فشل. عاطفياً :تتعزز علاقتك مع الحبيب في ظل مبادراتك التي تزرع بذورالمحبة والألفة.

الجدي: لا تتردد في خوض مشاريع تعزز وضعك المالي واستفد من الآراء والنصائح وقد تفرح لخبر سار أو مفاجأة خلال الأسبوع القادم. عاطفياً: كن أكثر حرصاً على استقرار علاقتك وابتعد عن الغيرة المفرطة ولا تعط الأمور أكبر من حجمها.

الدلو: الأيام القادمة غنية بحظوظها وفرصها وما عليك سوى توظيف طاقاتك في المكان المناسب لتحسين وضعك الشخصي والعائلي. عاطفياً: لاتدع الفتور يطغى على علاقتك العاطفية ولاتدع المشاغل المهنية تأخذ كل وقتك وتلهيك عن متطلبات حياتك الخاصة.

الحوت: التأثيرات الفلكية تحمل لك المناخ الجيد والانفراجات المتنوعة التي تتيح لك تحقيق ما عجزت عنه خلال العام الماضي فلا تضيّع الوقت وقم بالخطوات المناسبة. عاطفياً: اسع إلى تقريب وجهات النظر مع الشريك ولا تكن متصلباً.

القهوة رائحة الحكايات المعتقة.. جنوباً إلى الغروب شرقاً إلى الأناشيد!!

"البعث الأسبوعية" ـ غالية خوجة

منذ اكتشف الإنسان القهوة وهي ترافقه مع يومياته وجلساته العائلية والاجتماعية والثقافية والإلكترونية، وتكاد تكون خير صديق لخير جليس، لعلها إحدى الإشارات المضمرة لبيت شعري للمتنبي: "أعز مكان في الدنى سرج سابح ـ وخير جليس في الأنام كتاب"، فهي المعنى الأسود للكلمات البيضاء، وهي فسحة التأمل والجلوس مع الذات لكل أنيس. لكن، هل فكّرنا يوماً ماذا تغنّي القهوة وهي تغلي؟

ربما لن يعرف الإجابة إلاّ كبار السن أمثال أمّي رحمها الله: "كل السبب مني وبكل وادي جريت ـ وكل عرق نبت مني بالنار انكويت".

أصوغها كما الذهب

للقهوة موشحاتها وأشعارها وأشجانها ومواويلها وأغانيها التي تتداعى مع مزارعيها وقاطفيها وشاربيها وذكرياتها التي تفوح مع رائحتها وهي في المحمصة، أو المطحنة، أو على نار تغليها، لنجلس مع أنفسنا متأملين، أو لنجلس معاً، ونشربها، ونتغنّى بأحزاننا وأفراحنا ونحن نحاكيها؛ وكل مكان لا يحلو إلاّ بمعانيها، وهذا ما تصبح وتمسي عليه حلب، في كل شبر من أمكنتها ومنازلها وشرفاتها وأماكنها العامة، مثل حديقة العروبة، أو حديقة حلب العامة، أو القلعة، أو منطقة الشلالات، بينما النسائم تشتد حيناً وأوراق الأشجار تحتفظ بأحاديث الذين كانوا، وأحاديث العابرين، كما تحتفظ بذكريات الذين استشهدوا، وجُرحوا، وقصفوا، وبذكريات بائع القهوة الجوال الذي أصرّ أن أجرب قهوته التي يصنعها منذ ثلاثين عاماً معرفاً بنفسه:

أسمي عبد الرحمن نجار، أبو جوان، وحكايتي مع القهوة طويلة، فهي باب رزق لي، وأحبه، وأجيد صناعته، ونحن معشر بائعي القهوة نحسب أننا نصوغ ذهباً حين نصنع القهوة



وتابع: أنا جدّ، ولدي أربعة أولاد. صحيح أن القهوة مرّة، لكن كلامها حلو، خصوصاً وأن الفحم يحترق ببطء داخل هذا الإناء المعدني، لتظل القهوة دافئة، وتحتفظ بنكهتها المميزة نكهة سوداء وقلوب بيضاء

حدثني أبو جوان عن أبنائه الذين غادروا مع من غادر أثناء الحرب الإرهابية على سوريتنا الحبيبة، وكيف يصبح الإنسان عندما يكبر بحاجة لأن يرى أبناءه وأحفاده واقعياً لا افتراضياً، ثم أمال الإناء المعدني الذي يحمله ليريني الجمر المشتعل بجوفه كي يحافظ على حرارة القهوة

كان الجمر المتفحمّ يشع بضوء نار لا خافتة ولا باهتة، وأنين اللهب أشبهَ بحبات البن داخل قشورها الحمراء المتدلية من أشجارها في أماكن زراعتها المختلفة، بينما رائحتها وهو يصبها تفوح بتدرجات الغسق المتجهة جنوباً إلى الغروب، وشرقاً إلى أناشيد تتغزل بطعمها المر، ولونها الأسود، وما تعكسه من مزاج أبيض يتلون مع لوحات الفنانين التشكيليين وهم يرسمون القهوة بدلالهم، كما يرسمها الشعراء بقصائدهم، ومن أجملها ما قاله محمود درويش: "أحنّ إلى خبز أمي وقهوة أمي".

هذا الحنين يبدو واضحاً على ملامح أهالي حلب وهم يتجولون، ويفترشون العشب، ويزدحمون في كل فسحة ممكنة، بينما بائع القهوة يسترسل بالكلام ويحكي أحداثاً تتشابه في حياة الناس اليومية وأحوالهم، وما يعانونه من الإرهاب والحصار، واثقين بالأمل القادم من منهجية العمل، سعداء بواقعهم، رغم الفقر، والوحدة، وانتظارهم لما تجود به البطاقة الذكية، متوقعين أن القادم أجمل، لأنهم انتصروا على جميع أشكال التوحش العالمية القادم أجمل لأن سوريتنا الحبيبة ستظل وطناً شامخاً عزيزاً عصياً منيعاً منتصراً، وسيظل السوريون الأحباء مرفوعي الرأس طالما آمنوا بوطنهم وحقهم في الانتصار على الإرهاب، وفي الانتصار على التدمير بالبناء.

هكذا، أخبرني بائع القهوة المتجول في الحديقة، ثم مضى مع قهوته ليبيعها لأناس آخرين، وحين غادرت المكان، نسيتُ ظلي على الكرسي، قرب رائحة القهوة التي لم تصمت عن الكلام المباح، موقنة بأني سأعود لأحمل ظلي، أو يحملني ذات صباح.



مجلة أسبوعية شاملة تصدر عن دار البعث للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع
المدير العام رئيس هيئة التحرير: د. عبد اللطيف عمران
رئيس التحرير: بسام هاشم   أمناء التحرير: سلوى عباس – فايز طربوش – حسن النابلسي
هاتف: ٦٦٢٢١٤١ - ٦٦٢٢١٤٢ - ٦٦٢٢١٤٣ - ٦٦٧٠٠٥٢   موبايل: ٠٩٦٦٠١١٦٤ - ٠٩٦٦٠١١٦٥
فاكس ٦٦٢٢١٤٠ - صندوق البريد ٩٣٨٩ العنوان: دمشق - اوتوستراد المزة - مبنى دار البعث